بستان الخطيب

الجزء السادس

أمير بن محمد المدري

دار الكتب اليمنية

مكتبة خالد بن الوليد

الحقوق محفوظة لكل مسلم

«الطبعــة الخامسة»

«١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م»

مكتبة خالد بن الوليد
KHALED BOOK STORE
للطباعــة والنشــر والتوزيــع
الجمهورية اليمنيــة - صنعــاء
جوار وزارة العدل ص.ب(2370)
تلفاكس: 224694 - 227855

مركــز خــالد بن الوليــد
للتجارة والتسويق
صنعاء الدائري الغربي
أول شارع الرباط ت: 215699

دار الكتب اليمنية
للطباعة والنشر والتوزيع
ج.ي - صنعاء - الدائري الغربي
تلفون: 215243 - ص.ب(2370)

مكتبــة خالــد بن الوليــد
للطباعة والنشر والتوزيع - فرع عدن
كريتر - جوار فندق العامر
تلفون: 265706 - 269810 / 02

فرع شميلة
جوار برافو سنتر
تلفون:
01 617661

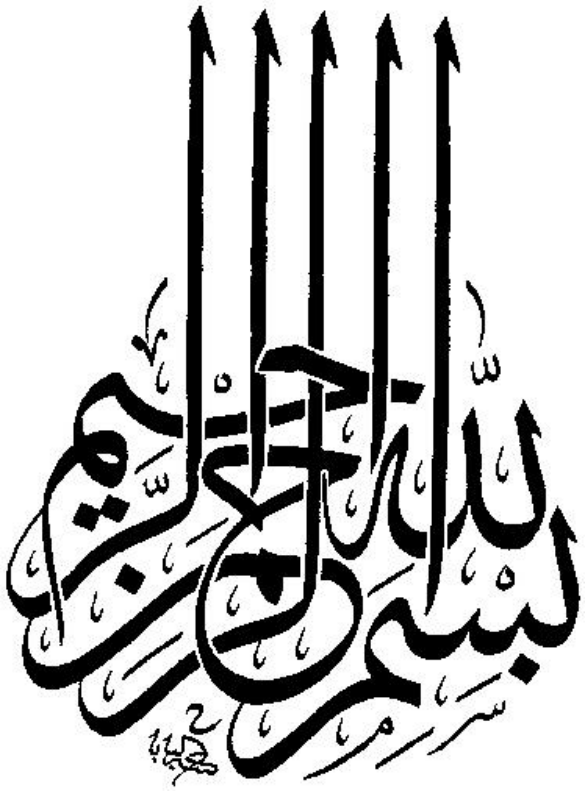
بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المحتويات ٤
المقدمة ٦
مع الله الوكيل«١» ٨
مع الله الوكيل«٢» ٢١
رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ٣٢
رجل دعته امرأة ذات منصب ٤١
أسرة مباركة ٥٢
الأمة والعدل«٢» ٧٢
الأمة والعدل«٣» ٨١
الخيانة «١» ٩١
الخيانة «٢» ١٠٤
الخيانة «٣» ١١٣
القوة في الإسلام«١» ١٢٤
القوة في الإسلام «٢» ١٣٤
القوة في الإسلام «٣» ١٤٦
الفرج بعد الشدة ١٦١
رمضان والجهاد ١٧٢
رمضان والصدقة ١٨٣
ما أثارك بعد الموت؟ -١ ..... ١٩٥

ما أثارك بعد الموت؟ -٢ ..... ٢٠٤
معركة الحياة ٢١٥

❁ ❁ ❁

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الغني الحميد، المبدئ المعيد، ذي العرش المجيد، الفعّال لما يريد. أحاط بكل شيء علماً وهو على كل شيء شهيد. أحمده سبحانه على ما أولاه من الإنعام والإكرام والتسديد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحميد. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من دعا إلى الإيمان والتوحيد. اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم من صالحي العبيد. وسلم تسليما كثيراً.

وبعد...

فإن الله أرسل رسوله -ﷺ- برسالة خالدة صالحة لكل زمان ومكان وأمره أن يبلغ هذه الرسالة إلى أمته، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [المائدة: ٦٧]، فقام -ﷺ- بعون الله وتوفيقه بتبليغ تلك الرسالة وأداء الأمانة على أكمل وجه وأبلغه مستعملا في ذلك جميع وسائل التبليغ الراتبة والطارئة، وكان من وسائل التبليغ الراتبة ما يخطب به الناس كل جمعة مبينا لهم ما تقتضيه الحال، ويتطلبه الموقف من شرح الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه واليوم الآخر وصفة الجنة والنار وغير ذلك.

وها نحن نلتقي مجدداً في ضلال هذا البستان المبارك الذي ينهل منه كل مسلم، والخطيب خاصَّة، إنه «**بستان الخطيب الجزء السادس بطبعته الخامسة**»، يعيش الخطيب في ظلاله ويسبح في أنهاره، ويبدأ في تحضير خطبته بطريقته الخاصة وأسلوبه البارع.

مع ملاحظة أن الخطبة الواحدة قد يبني منها الخطيب خطبتين أو ثلاث، مراعياً الوقت المناسب لإلقاء خطبته الرصينة.

فقد عاتبني بعض الخطباء من طول بعض الخطب، ونسي هؤلاء أن الخطيب المتميز كالنحلة تمتص آلاف الأزهار لتُخرج جرامات من العسل، وهذا هو الخطيب البارع يجمع من هنا وهناك ما يناسب مجتمعه ومصليه وبيئته.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب و يجعله صالحاً ولوجهه خالصاً، وأن يكون ذخراً ليوم المعاد إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله تعالى أعلى واعلم وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أمير بن محمد المدري

❁ ❁ ❁

مع الله الوكيل«١»

الحمد لله الذي جمع قلوب المؤمنين على الإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الديان، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله إلى الإنس والجان، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل البر والإحسان، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله حق التقوى، فمن اتقى الله جعل له نوراً يفرق به بين ما يبغضه ويرضاه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

وبعد عباد الله:

نعيش وإياكم مع اسم من أسماء الله الحسنى، نعيش مع اسمٍ مبارك جميل، ومريح، اسم يملأ فؤادك طمأنينة وسكينة، ويبعث في من يتعبد الله به هدوء النفس.

إنه اسم اللّه الوكيل هذا الاسم للذين يُعانون من القلق والاكتئاب، ويخشون من المستقبل. .

اسم اللّه الوكيل نحن بحاجة إليه هذه الأيام بالذات لنُعلّق الآمال بالله لا بغيره، لنفوض أمورنا إلى الله لا إلى غيره، لنعتمد عليه لا على غيره.

هذا الاسم للآباء والأمهات الذين يخشون على مستقبل أبنائهم وكيف سيكونون وماذا سيفعلون.

اسم الله الوكيل للذين يخافون من المستقبل المجهول. لكل من يبدأ مشروعاً، لكل من يخشى على رزقه، لكل من يستصعب أمرا.

هذا الاسم لأهل الحق الثابتين عليه وهم يرون أهل الباطل يرعدون ويزبدون بشائعاتهم بإعلامهم بكذبهم أن لا ييأسوا فمعهم الوكيل يفوضوا أمرهم إليه ويعتمدوا عليه ويستعينوا به جل وعلا.

عباد الله: ما معنى اسم الله الوكيل؟ معنى الوكيل أن تفعل كل ما تستطيع، ثم تقول لله بلسان حالك: «وكّلتك يارب»، فتنام وتستريح. ولكن الشرط هو أن تفعل كل ما تستطيع، أي أن تبذل كل مجهودك ثم تقول سلمت لك الأمر يارب. . توكلت عليك يا رب.

عباد الله: أوثق مقامات الموحدين، وأعلى درجات السالكين، ،ارفع صفات المؤمنين التوكل على الله تعالى:

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: ٢]

لا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يرجون سواه لانهم يعلمون انه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

هل نتوكل على الله حقاً؟ هل عندما نمر بمشكلة تؤرق حياتنا، وتتقطع بنا الأسباب، نقول توكلت على الله؟ هل نذهب إلى الوكيل؟ ما هي صلتك بالوكيل؟ هل أنت عميق الصلة بالوكيل؟ هل حياتك مرتبطة بمعنى التوكل؟ هل استشعار اسم الله الوكيل يملأ حياتك؟ فأنت خلقت ضعيفاً وفي أشد الاحتياج للوكيل.

فالتوكيل العام معناه أن توكل الشخص في كل تصرفات حياتك وكل مالك وحركاتك، والتوكيل الخاص يعني أن توكله في موضوع واحد، أي أنك لا تثق فيه إلا في موضوع معين. فعندما تذهب لتوكل أحداً توكيل عام، فإن الموظف المسئول سيسألك: هل أنت متأكد؟ . . لماذا هذا السؤال؟ لأنه بهذا التوكيل سيتحكم في كل مالك وهو مسئول عن كل شيء. . فتجيب نعم أنا أثق به، ومستعد أن أمضي على ذلك فأنا متأكد أنه لن يضيعني. هل تمضي وتوكله؟ ؟ ولله المثل الأعلى.

أما الله وله المثل الأعلى فهو الذي يعرض عليك أن تتخذه وكيله فهو القائل ﴿**فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**﴾، بشرط أن تؤدي كل ما عليك. ومن المعاني الجميلة في القرآن أن كل مرة يُذكر فيها اسم الله الوكيل أو التوكل يُذكر معها دلائل قدرة الله في ملكه وكونه كي يقول لك أنه سبحانه الخبير القدير فكيف لا نتوكل عليه؟ ! فالله يطمئنك فهو لا يمكن أن يضيعك إذا توكلت على المالك العظيم المهيمن.

أحد الزُّهاد من السلف الصالح صاحب معلّمه وشيخه ثلاثين سنة يطلب العلم منه، فيسأله معلّمه يومًا عمّا استفاده طيلة هذه الفترة، فيقول الزاهد: استفدت ثماني فوائد، هي زُبدة الزُبْدة وخُلاصة الخلاصة، وهي ما أرجو فيها الخلاص

والنجاة. وها أنا ـ أيها المسلمون ـ أعرضها لكم اليوم لأننا جميعًا باحثون عن الفائدة المنجية، وحريصون على النجاة والفلاح.

قال التلميذ الزاهد لمعلمه: **أما الأولى**: فإني نظرت إلى الخلق فرأيت لكلّ منهم محبوبًا ومعشوقًا يحبه ويعشقه، وبعض ذلك المحبوب يصاحبه إلى مرض الموت، وبعضه يصاحبه إلى شفير القبر، ثم يرجع كله ويتركه فريدًا وحيدًا، ولا يدخل معه في قبره منهم أحد، فتفكرت وقلت: أفضل محبوب للمرء ما يدخل معه في قبره ويؤنسه فيه، فما وجدته غير الأعمال الصالحة، فأخذتها محبوبةً لي، لتكون لي في قبري أنيسًا وسراجًا منيرًا.

وأما الثانية: فإني رأيت الخلق يقتدون أهواءهم، ويبادرون إلى مرادات أنفسهم، فتأملت قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[النازعات: ٣٩]، وتيقنت أن القرآن حق صادق فبادرت إلى خلاف نفسي، وتشمّرت بمجاهدتها، وما متعتها بهواها، حتى ارتضت بطاعة الله تعالى وانقادت.

وأما الثالثة: فإني رأيت كلّ واحد من الناس يسعى في جمع حطام الدنيا، ثم يمسكه قابِضًا يده عليه، فتأملت في قوله تعالى: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾[النحل: ٩٦]، فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى، ففرّقته بين المساكين ليكون لي عند الله ذخرًا.

وأما الرابعة: فإني رأيت بعض الخلق يظن أن شرفه وعزَّه في كثرة الأقوام والعشائر فاعتز بهم، وزعم آخرون أنه في ثروة الأموال وكثرة الأولاد فافتخروا بها،

وحسب بعضهم أن العز والشرف في غصب أموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم، واعتقدت طائفة أنه في إتلاف المال وإسرافه وتبذيره، فتأملت في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[الحجرات: ١٣]، فاخترت التقوى، واعتقدت أن القرآن حق صادق، وظنهم وحسابهم باطل زائل.

وأما الخامسة: فإني رأيت الناس يذم بعضهم بعضًا، ويغتاب بعضهم بعضا، فوجدت أصل ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم، فتأملت في قوله تعالى: ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [الزخرف: ٣٢]، فعلمت أن القسمة كانت من الله تعالى في الأزل، فما حسدت أحدًا ورضيت بقسمة الله تعالى.

وأما السادسة: فإني رأيت الناس يعادي بعضهم بعضًا لغرض وسبب، فتأملت في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾[فاطر: ٦]، فعلمت أنه لا يجوز عداوة أحدٍ غير الشيطان.

وأما السابعة: فإني رأيت كلّ أحد يسعى بجدّ، ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش، بحيث يقع به في شبهة وحرام ويذلّ نفسه وينقص قدره، فتأملت في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾[هود: ٦]، فعلمت أن رزقي على الله تعالى وقد ضمنه، فاشتغلت بعبادته، وقطعت طمعي عما سواه.

وأما الثامنة: فإني رأيت كلّ واحد معتمدًا على شيء مخلوق، بعضهم على الدينار والدرهم، وبعضهم على المال والملك، وبعضهم على الحرفة والصناعة، وبعضهم على مخلوق مثله، فتأملت في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ**

﴿حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[الطلاق: ٣]، فتوكلت على الله وحده فهو حسبي ونعم الوكيل.

أيها الإخوة المؤمنون، التوكل على الله شعور ويقين بعظمة الله وربوبيته وهيمنته على الحياة والوجوه والأفلاك والأكوان، فكل ذلك محكوم بحوله وقوته سبحانه.

التوكل قطع القلب عن العلائق ورفض التعلّق بالخلائق وإعلان الافتقار إلى محول الأحوال ومقدر الأقدار لا إله إلا هو. إنه صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضار منه في أمور الدنيا والآخرة، فلا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع، ولا ينفع ذا الجد منه الجد.

التوكل صدق وإيمان وسكينة واطمئنان، ثقة بالله وفي الله وأمل يصحب العمل وعزيمة لا ينطفئ وهجها مهما ترادفت المتاعب.

بالتوكل ترفع كبوات البؤس وتزجر نزوات الطمع، فلا يَكبح شَرَهَ الأغنياء ولا يَرفَع ذلّ الفقراء سوى التوكل الصادق على الحيّ الذي لا يموت، يقول سعيد بن جبير -رحمه الله-: «**التوكل على الله جماع الإيمان**».

أخي الحبيب:

تأمل في قوله تعالى: ﴿**لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ**﴾[هود: ١٢٣] فغيب السموات والأرض بيده فاطمئن، وقوله تعالى: ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**﴾[المزمل: ٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، واشهد أن سيدنا محمد -ﷺ- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع اخوانه.

وبعد: أخي الحبيب:

انظر إلى حلاوة هذه الآية: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ* الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾[الشعراء: ٢١٧-٢١٩]، فهو يقول لك لماذا تذهب إلى غيري وأنا موجود! ! ليس معنى هذا أن تتقاعس فأنت تتحرك وتبذل وأنت تعلم أن الله هو الذي سيقضي لك الأمر. واستمع إلى هذه الآية ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ**﴾[الفرقان: ٥٨]، فكيف تتوكل على الأموات وهو الذي لا يموت. وانظر إلى الآية الأخرى ﴿**ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾[الأنعام: ١٠٢].

عجبت لأربعة كيف يغفلون عن أربع: عجبت لمن أصابه ضر كيف يغفل عن قول الله: ﴿**إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[الأنبياء: ٨٣]، والله ﷻ يقول بعدها: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ**﴾، وعجبت لمن أصابه غم كيف يغفل عن قول الله: ﴿**لاَّ إِلَـاهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾، والله ﷻ يقول بعدها: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾[الأنبياء: ٨٨]، وعجبت لمن يخاف كيف يغفل عن قوله: ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾، والله تعالى يقول بعدها: ﴿**فَانْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**﴾[آل عمران: ١٧٤]،

وعجبت لمن يمكر به الناس كيف يغفل عن قوله تعالى: ﴿**وَأُفَوِّضُ أمري إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾[غافر: ٤٤]، والله تعالى يقول بعدها: ﴿**فَوقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوء الْعَذَابِ**﴾[غافر: ٤٥].

عبد الله: إذا توكلت على الله أنت أقوى الأقوياء، إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟

و النبي -ﷺ- يُعلمنا أن من يقول صباح كل يوم «حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم »سبع مرات كفاه الله شأن هذا اليوم.

عباد الله: أكثروا من قول حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام عندما أُلقي في النار. . قالها موسى عليه السلام عندما قال له أصحابه: إنا لمدركون.

أصحاب النبي -ﷺ- بعد غزوة أحد. بعد ما أصابهم من آلام ومصاعب، يعلم الرسول -ﷺ- أن قريش تُعد العدة للعودة فيعلن أنه ذاهب للقائهم مع الصحابة وهم على هذه الحالة، فتبعث لهم قريش من يخوفهم ويقول لهم أن قريشا قد لبست جلود النمور، وجمعت العرب على حربهم فينطق الرسول والصحابة بـ «**حسبنا الله و نعم الوكيل**»، فرجع إلى قريش خائفا وهو يقول أن محمداً وأصحابه يقولون كلاماً وسيأكلونكم أكلا، فنزلت بقية الآية:﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ يسُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾[آل عمران: ١٧٤].

علمنا النبي -ﷺ- أيضاً أن من يقول حين يخرج من بيته «بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله » يقول له الملك « هُديت وكُفيت ووُقيت»، فيقول شيطان لشيطان آخر: «ماذا نفعل برجل هُدي وكُفي ووُقي».

علّمنا النبي -ﷺ- دعاء نقوله عند النوم فعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال قال النبي -ﷺ-: « **إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت**»[أخرجه البخاري].

فحين يأوي المسلم إلى فراشه ويغمض عينيه وقد ودّع يومه واستقبل نومه، وإذ به يجدّد العهد مع الله، ويختم مسيرة يومه بالتسليم لمولاه وتفويض الأمر إليه والاعتصام به سبحانه إنه التسليم لله وحده واللجوءُ إليه، اللجوء لمن بيده النفع والضر والنصر والذل ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِراطٍ مّسْتَقِيمٍ**﴾[آل عمران: ١٠١]، ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَـاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾[الحج: ٧٨].

أخي الحبيب: قبل أن تطرق أبواب المخلوقين اطرق باب الوكيل، كلّم الوكيل ناجي الوكيل ادع الوكيل، وسترى العجب العجاب.

إذا توكلت على الله خدمك أعداؤك، وإذا اعتددت بنفسك قد يتطاول عليك أبناؤك.

عباد الله: لُنعلم أبناءنا التوكل على الله وأن الفضل بيد الله وأن الخلق كلهم

فقراء الله. أنظر إلى الرسول -ﷺ- وهو يُعلّم ابن عباس وهو طفل صغير، يقول له: « **احفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فأستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو أن الأمة اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف** ».

أخلاق الحبيب: تأمل في أم موسى عليه السلام وهي تخاف على وليدها من بطش فرعون الذي ذبح مئات الأطفال خوفاً على كرسي الملك.

فأوحى الله إلى أم موسى وحي الهام: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تخافي وَلاَ تحزني إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾.

إذ لولا توكلها على الله وثقته به لما ألقت ولدها وفلذة كبدها في تيار الماء تتلاعب به أمواجه، وينطلق به الموج إلى ما شاء الله، لكنه أصبح في اليمّ في حماية الملك جلّ وعلا ورعايته، وما كان جزاء هذه الثقة العظيمة؟ قال تعالى: ﴿**فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾[القصص: ٧].

أيها المسلمون، إن للتوكل على الله آثارًا حميدة ولذة عجيبة لا يجدها إلا الخُلّص من عباد الله، وجدها إبراهيم عليه السلام عندما ألقي في النار، فتوكل عليه فصارت بردًا وسلامًا، ووجدها يوسف عليه السلام عندما ألقي في الجُبّ كما وجدها في

السجن، ووجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت في ظلمات ثلاث، ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور، ووجدها رسول الله وصاحبه في الغار والقوم يتعقبونهم، ﴿ **لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة: ٤٠]، وسيجدها كل من أخلص لله، وآوى إليه يأسًا من كل من سواه، منقطعًا عن كل شبهة في قوة، قاصدًا باب الله دون الأبواب كلها.

لو استقرت هذه الحقيقة في قلب المسلم استقرارًا صحيحًا لصمد كالطود أمام الأحداث وأمام الأشخاص وأمام القوى والقيم والاعتبارات، ولو تضافر عليه الإنس والجن بكل ما يملكون من طائرات ودبابات وصواريخ وعابرات القارات، ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[النحل: ٤٠].

وها هو النبي -ﷺ- وهو نائم تحت الشجرة عند عودته من غزوة ذات الرقاع، فيأتي أحد الكفار ويضع السيف في رقبته ويقول له: «يا مُحمد من يمنعك مني؟ »فيقول له النبي -ﷺ-: «**الله يمنعك مني**»، فسقط السيف من يد الرجل، فأخذه الرسول ووضعه في رقبته وقال له: «**وأنت من يمنعك مني**»؟ فقال له: **"يا مُحمد كن خير آخذ"**، فقال له النبي -ﷺ- ''**أتشهد أن لا إله إلا الله واني رسول الله**؟ ''، قال: ''لا''، فقال له :''إذن لا تُعين علي أحداً''، قال :''نعم''، فقال له: أذهب.

وها هو حماد بن مسلمة: كان يمر على بيت جارته الأرملة الفقيرة والجو مُمطر، فسمع صوتها وهي تقول: يا لطيف ألطف بنا، فأنتظر حتى انتهى المطر فطرق الباب وقال لها: «**هذه عشرة دنانير اجعليها في حاجتك**»، فإذا بالبنت اليتيمة تقول

لها: يا أماه لما رفعت صوتك فجعلت حماد بيننا وبين الله؟ "فأجابتها "لم أرفع صوتي و لكن الوكيل أتى به».

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

مع الله الوكيل«٢»

الحمد لله شرح صدور المؤمنين للإيمان بفضله ورحمته، وأضل من شاء من عباده بعدله وحكمته.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، جعل للمتقين عُقبى الدار، ولأهل الكفر والضلال الخزي والبوار، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، المصطفى المختار صلى الله عليه وعلى المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم القرار، أما بعد:

أيها الناس، اتقوا الله، واعتصموا بحبل الله، وتوكلوا في أموركم كلها على الله، قال تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ وقال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾[الحج:٧٨].

ما زلنا وإياكم مع اسم الله الوكيل لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا، سلّم أمورك إليه، فوّض حياتك عليه.

نعم إنّه المتولي لِشؤون عِباده يصرّفها كيف يشاء، لذلك قالوا: إذا تولى الله عبده بِجميل العِناية كفاه كل شُغل وأغناه عن كل غَيْرٍ، هو الكافي لِمن توكل عليه، إذا اتجه العبد إلى الله مُتَوَكِّلاً تولاه بِحُسن رِعايته فإذا استقام ختم له بِجميل وِلايته.

التوكل عباد الله من أجلّ صفات المؤمنين وارفع درجات السالكين وأعلى مقامات الموحدين وأوثق صفات الربانيين الصديقين قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]

أي: لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب؛ ولهذا قال سعيد بن جبير: «**التوكل على الله جماع الإيمان**».

من عاش مع الوكيل فهو المؤمن فلا إيمان لمن لا توكل له: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٣].

روي أن أمير بلدة حاتم الأصم اجتاز على باب حاتم فاستسقى ماء، فلما شرب رمى إليهم شيئا من المال، فوافقه أصحابه، ففرح أهل الدار سوى بنية صغيرة فإنها بكت. فقيل لها: ما يبكيك؟ قالت: مخلوق نظر إلينا فاستغنينا فكيف لو نظر إلينا الخالق ﷻ! !

كُن عن الهموم معرِضا ... وكِلِ الهموم إلى القضا
وابشِر بخيرٍ عاجلٍ ... تنسَ به ما قد مضى
فَلَرُبّ أمرٍ مُسْخِطٍ ... لك في عواقبِه رِضا
وَلَرُبَّما ضاق المضيق ... وَلَرُبما اتسع الفضا
الله يفعل ما يشاء ... فلا تكونن مُعتَرِضا
الله عَوَّدك الجميل ... فَقِسْ على ما قد مضى

عباد الله:

الرسل أئمة المتوكلين وقدوتهم، قال تعالى عن نوحٍ عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿**إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ**﴾[يونس: ٧١]، وقال الخليل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[الممتحنة: ٤]، وقال هودٌ عليه السلام: ﴿**إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ ءاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا**﴾[هود: ٥٦]، وقال يعقوب عليه السلام: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾[يوسف: ٦٧]، وقال شعيبٌ عليه السلام: ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[الشورى: ١٠]، وقال رسل الله لأقوامهم: ﴿ **وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ [إبراهيم: ١٢].

سار إبراهيم الخليل عليه السلام بزوجه هاجر وابنه الرضيع إسماعيل من بلاد الشام حتى وصل بهما إلى الأرض المباركة إلى جبال فاران بمكة ووضعهما في ذلك الوادي الموحش وتركهما هناك.

تتعلق هاجر بثيابه وهو يهم بالرجوع وتقول له: يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا ليس معنا ما يكفينا؟ فلم يجبها.

لم يجبها الخليل لأنه لا يعلم إلا أن الله أمره بوضعهما في ذلك الوادي المقفر، ولا بد من الطاعة والامتثال له.

قالت هاجر: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: فاذهب إذاً فإن الله لن يضيعنا.

إيمان عميق، وثقة بالله عجيبة.

امرأة وطفل رضيع في مكان ليس به أنيس ولا حسيس، في مكان ليس به طعام ولا ماء، ومع ذلك تذعن لأمر الله وتثق بوعد الله ورحمته. فيأتيها الفرج.

هذه هي قمة اليقين، وهذه هي ذروة التوكل يا عباد الله، أما كيف لن يضيعنا؟ أو بأي شيء سينقذنا؟ أو ماذا سيرسل لنا؟ هذا كله لا يهم، المهم أنه طالما كان الأمر من الله فإنه لن يضيعنا، لو نصل ـ يا عباد الله ـ إلى بعض هذا اليقين أو بعض هذا التوكل إذا لانقلبت حياتنا كلها سكينة وطمأنينة، ولرأينا في أحلك الظروف وأصعب الأوقات نافذة ربانية يشع منها النور، ولكن ضاع اليقين بالله وبموعود الله وبنصرة الله، فغاب التوكل وأصبحت حياة الإنسان جحيما، يفكر في الرزق، ويخاف من الغد، ويضخم الأمور، وتركبه الوساوس لأتفه الأسباب، رغم أنه غير مأمور بهذا الغم وهذا الهم وهذا التفكير، بل هو مأمور بعبادة الله ﷻ والسعي في مصالحه قدر استطاعته مجتنبا ما حرم الله.

يا رب ماذا فقَد من وَجَدك وماذا وجد من فقدَك؟ وإذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فَمن معك.

قال ابن القيم: «**التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام، وإن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس**».

في التوكل راحة البال، واستقرارٌ في الحال، ودفع كيد الأشرار، ومن أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم، وبه قطع الطمع عما

في أيدي الناس.

والشيطان لا سلطان له على عباد الله المتوكلين، قال ﷻ: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَلَى رَبّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[النحل: ٩٩]، والتوكل مانعٌ من عذاب الله كما قال سبحانه: ﴿**قُلْ أَرَءيْتُمْ إِنْ أهلكني اللَّهُ وَمَن معي أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ قُلْ هُوَ الرَّحْمَانُ ءامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا**﴾[الملك: ٢٩].

وموجب لدخول الجنات كما قال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُبَوّئَنَّهُمْ مّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنْهارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[العنكبوت: ٥٨].

من عاش مع الوكيل وكان من المتوكلين نال وسام محبة الله عزو جل قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾[آل عمران: ١٥٩]. بل المتوكلون حقاً يدخلون جنة ربهم بغير حساب، ففي الصحيحين في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب «**هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**».

روى الإمام النووي في كتابه الأذكار عن ابن السني، عن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال: يا أبا الدرداء قد احترق بيتك، فقال: ما احترق، لم يكن الله ﷻ ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله -ﷺ-، من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح: « **اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيءٍ قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي،**

ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم ». فجاؤوا إلى بيته فوجدوا البيوت حوله احترقت إلا بيته .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، واشهد أن سيدنا محمد -ﷺ- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع اخوانه.

وبعد:

أيها الأخوة، من ذاق طعم التوكل على الله، يصبح عنده أمن، عنده راحة، عنده شعور أن الله لن يتخلى عنه، نحن نفتقد لحياة نفسية عالية، الإنسان قد يكون قوياً وغنياً لكن عنده خوف وقلق مستمر، أما إذا كنت مع الله كان الله معك، لأن الله ﷻ يقول: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾[التوبة: ٥١].

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

إذا أردت أن تكون أقوى الناس فَتَوَكَّل على الله، وإذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتّقِ الله وإذا أردت أن تكون أغنى الناس فَكُن بِما في يَدَيْ الله أوْثق منك مما في يديك ما توكَّل على الله أحدٌ وخَيَّب ظنَّه وما توكَّل على الله أحدٌ إلا وكَفَاه

وأرضاه وأكرمه. ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ [الزمر: ٦٢].

يقول النبي -ﷺ-: «**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانا**» [صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٣٠)، والترمذي].

انظر إلى ذلك الطائر الصغير الحقير الذي لا يملك قوةً ولا عقلا ولا تدبيرا يخرج من عشه في الصباح الباكر ليبحث عن رزقه بهدوء واطمئنان، لم يقض ليله مفكرًا في قوته ولم يشغل باله في أمر طعامه وإنما عرف أن الله الذي خلقه قد تكفل برزقه، فاكتفى بمجرد فعل السبب المشروع، فما هو إلا أن خرج فإذا برزقه يأتيه فيمتلأ بطنه بالطعام فيعود إلى عشه مسبحا لله ﷻ.

من الذي رزق ذلك الطائر؟ من الذي أشبعه؟ من الذي هداه إلى طريق الحبة؟ من الذي علمه طرق الكسب والسعي في الأرض؟

إنه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. إنه الذي يقول: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ في كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾[هود: ٦].

إنه القائل: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[العنكبوت: ٦٠].

روى عن ابن عباس -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال للمؤمنين بمكة حين أذاهم المشركون: «اخرجوا إلى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة" قالوا: ليس لنا بها دار ولا عقار ولا من يطعمنا ولا من يسقينا فنزلت: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ**﴾[العنكبوت: ٦٠]أي ليس معها رزقها مدخرا، وكذلك أنتم يرزقكم

الله في دار الهجرة.

واستمع إلى قول الله تعالى: ﴿**فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾[التوبة: ١٢٩]، أي عندما يتركك الناس ويهجروك فلا تخف.

وقال شفيق البلخي: « التوكل أن يطمئن قلبك لِوَعْدِ الله »، فإذا وعدك الله بالتوفيق والرزق والحياة الطيبة وعدك الله بالنصر ما دمت من أولياءه فلما الخوف.

عبد الله:

لو أغلقت في وجهك الأبواب اذهب إلى الوكيل، ، فالنبي يذهب إلى الطائف سيراً على الأقدام ثم يُضرب بالحجارة، وتكون النتيجة صفر، ولكن وهو عائد يقابل صبياً من العراق يدعى عدّاس فيؤمن به، ثم يؤمن الجن، ثم رحلة الإسراء والمعراج، وفي النهاية يسلم الأنصار. فهو أراد الطائف والله أراد المدينة. . هو أراد أهل الطائف والله أراد شاباً من العراق. . هو أراد الإنس والله أراد الجن. . هو أراد أهل الأرض والله أراد أهل السماء.

لا تأكل حراما: من أكل فلساً من حرام فليس بمتوكل، فأنت عندما أكلت مالاً حراماً صرت غير مؤمن بأنه الوكيل برزقك.

أُنظر إلى مَثل الجنين الذي في بطن أمه. . كان مصدر رزقه الوحيد هو الدم، فعندما خرج إلى الدنيا بكى، لأن مصدر الرزق انقطع، فإذا بالله يبدله بمصدرين للرزق ثديي الأم، وبكى عند الفطام لفقدانه اللبن، فوجد أن الوكيل قد أعدّ له أربعة

مصادر للرزق، لحوم وأسماك واللبن والمياه. وعند الموت يبكي لفقدان مصدر الرزق، فتجده أعد للمؤمنين ثمانية أبواب للجنة! فكل مرة تبكي فيها تجد أن الوكيل قد أعدّ لك مصادر رزق أكثر.

من معاني التوكل صلاة الاستخارة: عندما تكون في مشكلة اذهب للوكيل وصلي ركعتين ثم أدعو بهذا الدعاء :«**اللهم أني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري فقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري فأصرفه عني وأصرفني عنه وأقدر لي الخير حيثما كان ثم أرضني به**» ثم نأخذ بالأسباب.

التوكل لا يأتي مع التواكل: فعندما جاء الرجل إلى النبي -ﷺ- وقال له «عندي ناقة أأعقلها أم أتوكل؟ » فقال له النبي -ﷺ- « **أعقلها وتوكل**»، وعندما رأى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ناقة جرباء فسأل صاحبها. . ألا تعالجها؟ فقال :«**أني أدعو الله أن يشفيها**»، فقال له عمر :« **ألا جعلت مع الدعاء قطرانا** » أي دواء. وفي رحلة الإسراء والمعراج عند وصول النبي -ﷺ- المسجد الأقصى، ربط البراق عند الحائط بالرغم من إنه نزل لخدمته وحده. . لماذا؟ لأن الإسلام يُعلمنا الأخذ بالأسباب.

وشاهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أناساً يتعبدون في المساجد ولا يعملون،

فسألهم عن عملهم فقالوا: نحن متوكلون، فقال لهم: لا، أنتم متواكلون، وبادرهم بالدرة. أي بالعصا التي يحملها، ثم قال: المتوكل هو الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله، أي الذي يعمل ثم يتوكل على الله.

توكل على الرحْمن فِي الأمر كله ... ولا ترغبن في العجز يومًا عن الطلب
ألَم تر أنَّ الله قال لِمريَمَ: وهُزِّي ... إليك الجذع يسَّاقط الرطب؟ !
ولو شاء أن تَجنيه من غير هزّة ... ولكن كلّ شيء له سبب

عباد الله:

نحن بحاجة إلى اللجوء إلى الله في كل ما يعرض علينا من ظلم وعدوان أو فقر وحرمان أو مرض في الأبدان أو غير ذلك مما لا يملك كشفه وإزالته إلا الله وحده، ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ**﴾[الأنعام: ١٤].

وأسلَمْت وجهي لمن أسلَمَت ... له الأرض تحمل صخرًا ثقالاً
وأسلَمْت وجهي لمن أسلَمَت ... له الُمزن تَحمل عذْبًا زلالاً
وأسلَمْت وجهي لمن أسلَمَت ... له الريح تصرف حالاً فحالاً

فيقول الله ﷻ في محكم كتابه: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلّ شيء قَدْراً**﴾[الطلاق: ٣-٢].

أيها المسلمون، هاتان الآيتان الكريمتان من سورة الطلاق، وهي مدنية، ولهما

سبب نزول، فقد ذكرت كتب التفسير بأن رجلاً من قبيلة أشجع، كان فقير الحال وكان كثير العيال، وأن ابناً له قد وقع في الأسر بيد المشركين، فأتى النبيَ -ﷺ- وقال: يا رسول الله، إن ابني أسره العدو، وجزعت عليه أمه، فما تأمرني؟ فقال له عليه الصلاة والسلام: «**اتق الله واصبر، وأكثر من قولك: لا حول ولا قوة إلا بالله**».

ولم تلبث مدة وجيزة حتى تمكن الابن من الإفلات من الأسر، وفي طريقه آتى على غنم سباها من الأعداء، فنزلت هاتان الآيتان الكريمتان من سورة الطلاق، لتوضح أن من يتوكل على الله حقَّ توكله، فإنه يكفيه ما أهمه وما أغمّه، وما يحتاج إليه.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

❁ ❁ ❁

رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه

الحمد لله العلي العظيم القادر، هو الأولُ والآخر والباطن والظاهر، عالم الغيب والشهادة المطلع على السرائر والضمائر. خلق فقدَّر ودبّر فيسر، فكل عبد إلى ما قَدَّره عليه وقضاه صائر. أحمده سبحانه على خفيّ لطفه، وجزيل بره المتظاهر. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد ولا مظاهر. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الآيات والمعجزات والبصائر. اللهم صلّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن على سبيله إلى الله سائر. وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله، والزموا طاعته في حال الصحة والقوة، يثبتكم على دينكم في حال المرض والضعف، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[آل عمران: ١٠٢].

عباد الله: مع الصنف السادس ممن يظلهم الله في ظله: رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، هذا رجل يستحضر هيبة الله ويستحضر مخافته، وعظمته والوقوف بين يديه فنزلت دمعات الخشية والخوف.

إنه رجل ممن قال الله فيهم: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون**﴾[الأنفال: ٢].

رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.

ذكر الله ﷻ قوت للقلوب، وقرةٌ للعيون، وسرورٌ للنفوس، به تُجلب النعم وتُدفع النقم؛ فهو نعمة عظمى ومنحة كُبرى، له لذة لا يدركها إلا من ذاقها، عبّر عنها أحدهم فقال: «**والله إنا لفي لذة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف**».

ذكر الله من أثقل العبادات في الميزان، وأسهلها على الإنسان، وأرفعها في الدرجات، نعم، فقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني من حديث معاذ بن جبل -رضي الله عنه- يقول: «**ألا أُخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها لدرجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: «**ذكر الله** (عز وجل)».

ذكر الله هو جلاء القلوب وصقالها، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، وإن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤها ذكر الله.

قال الحسن البصري -رحمه الله- : «تَفقّدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذِّكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مُغلق».

لا اله إلا الله سبحانه تعالى ما طابت الحياة إلا بذكره، وما طابت الآخرة إلا بعفوه، وما طابت الجنة إلا برؤيته. .

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً**﴾[الأحزاب: ٤١]، وقال

تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة: ١٠].

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة: ١٥٢]، قال سعيد بن جبير -رحمه الله-: «فاذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي ورحمتي».

فيا له من شرف وفضل؛ أن يذكر الربُّ العظيمُ العبدَ المسكين، أن يذكر الربُّ القويُّ العبدَ الضعيفَ، أن يذكر الربُّ الغنيُّ العبدَ الفقيرَ. إنه ذكر ما بعده ذكر؛ فاذكروني بالتذلل أذكركم بالتفضل. اذكروني بالأسحار أذكركم بالليل والنهار. اذكروني بالثناء أذكركم بالعطاء. اذكروني بالندم أذكركم بالكرم. اذكروني في دار الفناء أذكركم في دار البقاء. اذكروني في دار المحنة أذكركم في دار النعمة. اذكروني في دار الشقاء أذكركم في دار النعماء.

يقول يحيى بن معاذ-رحمه الله-: «يا غفول يا جهول، لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك مولاك لمِتَّ شوقًا إلى مولاك».

رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

إنما نزلت هذه الدمعة الطاهرة لله لا لغيره، لأن هذا الرجل كان خاليًا لوحده ما معه أحد، فهي دمعة خالصة ليس وراءها رياء ولا سمعة، وهكذا الصالحون الأوابون، يقول -صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح الجامع من حديث أنس -رضي الله عنه-: «**عينان لا تمسهما النار أبدا: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**».

دموع خشية الله التي مبعثها الخوف والصدق والإخلاص منجاة للعبد من عذاب الله وحجاب له من ناره، يقول -صلى الله عليه وسلم-: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله**

تعالى حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله تعالى ودخان جهنم» [أخرجه أحمد عن أبي هريرة].

وفي حديث أسامة بن زيد -رضي الله عنه- مرفوعًا: «**كل عينٍ باكية يوم القيامة إلا أربعة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين حرست في سبيل الله، وعين باتت ساهرة فباتت ساجدة لله تعالى**»[رواه أبو نعيم في "حلية الأولياء" ٣/ ١٦٣]. .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : «**لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار**»، وقال عون بن عبد الله : «**بلغني أنه لا تصيب دموع الإنسان من خشية الله مكانا من جسده إلا حرم الله ذلك المكان على النار** »[الجواهر والدرر من أقوال السادة الغرر للمؤلف]، وكان لصدر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أزيز كأزيز المرجل من البكاء أي فوران وغليان كغليان القدر على النار .

هنيئاً لمن خرجت من عينيه قطرة دمع من خشية الله، هنيئاً لمن بكى من خشية الله. ولكن أنّى لعين تنظر إلى ما حرم الله أن تبكي من خشية الله؟ أنّى لقلبٍ غافل معرض ممتلئ بالأحقاد والضغائن أن يخشع لله. فالله الله في التوبة إلى الله.

أخي الحبيب متى آخر مرة بكيت من خشية الله؟

قال يزيد بن ميسرة [1] : «**البكاء من خشية الله تطفئ الدمعة منه أمثال البحور من النار** ».

---

(١)[الوفاة: ١١١ - ١٢٠ ه]رَوَى عَنْ: أم الدِّرْداء، وأَبِي إدريس الخَوْلاني.وَعَنْهُ: أخوه يونس، وصَفْوان بْن عَمْرو، ومعاوية بْن صالح، وآخرون.سكن حمص، وكان واعظًا زاهدًا عارفًا.

وقال مالك بن دينار [1] : «**البكاء على الخطيئة يحط الذنوب كما يحط الريح الورق اليابس**» .

أخي الكريم:

اجعل لك نصيب من كر الله في صباحك ومساءك، في بيتك وفي سوقك، في فراغك وفي شغلك.

﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**﴾[آل عمران: ١٩١]

اجعل لك نصيب من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والحوقلة والحسبلة والصلاة على الحبيب المصطفى- -ﷺ-.

اللهم ثبّت قلوبنا على الإيمان، الله أعنا على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك. اللهم آتنا قلوباً خاشعة و أعينًا تدمع من خشيتك يارب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً لا ينفد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له نصلي ونسجد، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، رسولٌ لا يكذب، وعبدٌ لا يُعبد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما دعا الله داع وتعبّد، وسلّم تسليماً كثيراً. وبعد. . .

عباد الله: ذكر الله لا يلزم أن يكون تسبيحاً وتكبيراً وتحميداً في الخلوة فقط، فقد يبكي الإنسان حينما يسمع أوصاف الجلال، ، والعظمة والجبروت لله، وقد يبكي الإنسان حينما يرى أوصاف الجمال، والرحمة واللطف والرأفة لله تعالى. قد

---

(١)مالك بن دِينار(٠٠٠ - ١٣١ هـ = ٠٠٠ - ٧٤٨ م)
مالك بن دينار البصري، أبو يحيى: من رواة الحديث. كان ورعا، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة. توفي في البصرة.

يبكي العبد وهو يسمع آيات القران تُتلى بتلاوة مباركة طيبة، قال تعالى: ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً**﴾[مريم: ٥٨]

وقد يبكي العبد حين يرى نعيم في الدنيا؛ فيتذكر الجنة ويشتاق إليها.

قد يبكي العبد اذا رأى مبتلى بُترت قدميه أو قُطعت يديه، أو فقئت عيناه، أو فقد عقله، أو ابتلاه في أهله أو ماله بكارثة فدمعت عيناه رحمةً به وشكراً لله لما من عليه، فهو من الذاكرين لله الذين يضلهم تحت ظل عرشه.

وقد يبكي الإنسان وهو ويرى آيات الله في الكون، يرى الإبداع يرى الجمال

فتدمع عيناه فهو من والسبعة وهو من الذاكرين الله.

وقد يبكي العبد وهو في خلوة كأن يتذكر ذنوبه وخطاياه، أو يتذكر أحبابه وأقاربه الذين سبقوه، أو يتذكر بعض الأمور التي حصلت له، فيكون من الذاكرين لله تعالى والذكرات.

عباد الله: يقول بعض أهل العلم: يكفي مرة واحدة في العمر أن تبكي خالياً، فتكون من الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وأحسن ما يذكر الله ﷻ في جوف الليل الغابر، أو في آخره. .

عباد الله!

ما أسعدها من لحظات يجلسها المرء خالياً فيها مع نفسه، يناجي ربه وخالقه، فينهمر دمعه عذباً صافياً خالياً من لوث الرياء، وإن نيران المعاصي التي تأتي على قلب المسلم فتحيله إلى فحم أسود كالكوز مجخياً، لا يطفئها إلا تلك الدموع التي

تنهمر على إثر ذكر الخالق وخشيته، ولقد كان ابن سيرين -رحمه الله-[١] يضحك بالنهار، فإذا جن الليل فكأنه قتل أهل القرية من شدة البكاء! ولقد كان أيوب السختياني -رحمه الله-[٢] ربما حدّث بالحديث فيرق فيمتخط ويقول: «**ما أشد الزكام**»! ! ! يُظهر أنه مزكوم لإخفاء البكاء؛ رجاء أن يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وقام محمد بن المنكدر[٣] ذات ليلة فبكى فاجتمع عليه أهله ليسألوه عن سبب بكائه فاستعجم لسانه، فدعوا أبا حازم فلما دخل هدأ بعض الشيء فسأله عن سبب بكائه فقال: تلوت قول الله: ﴿**وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**﴾[الزمر: ٤٧]، فبكى أبو حازم، وعاد محمد بن المنكدر إلى البكاء، فقالوا له: أتينا بك لتخفف عنه فزدته بكاءً!

روى النسائي و أحمد من حديث عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: «قلت: يا رسول الله! ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**».

عباد الله: يا ترى ما هي مثيرات البكاء؟:

أولاً: **الخلوة الصالحة في أوقات إجابة الدعاء**: فالخلوة الصالحة هي خليلة

---

(١)ابن سِيرين(٣٣ - ١١٠ هـ = ٦٥٣ - ٧٢٩ م)
محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي. من أشراف الكتّاب. مولده ووفاته في البصرة. نشأ بزازا، في أذنه صمم. وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. واستكتبه أنس بن مالك، بفارس. وكان أبوه مولى لأنس.
(٢)أَيُّوب السَّخْتِياني(٦٦ - ١٣١ هـ = ٦٨٥ - ٧٤٨ م)
أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، أبو بكر: سيد فقهاء عصره. تابعي، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث. كان ثابتا ثقة رُوي عنه نحو ٨٠٠ حديث.
(٣)ابن المُنْكَدِر(٥٤ - ١٣٠ هـ = ٦٧٤ - ٧٤٨ م)
محمّد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير (بالتصغير) بن عبد العزى القرشي التيمي (من بني تيم بن مرة) المدني: زاهد، من رجال الحديث. من أهل المدينة. أدرك بعض الصحابة وروى عنهم. له نحو مئتي حديث. قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق .

الصالحين والعبّاد وكل قلب يفتقر إلى خلوة، وتكون فيها المصارحة والمكاشفة بين كل امرئ وقلبه، فيعرف مقامه وتقصيره وكم هو مذنب مقصر خطّاء. . وعندها يسارع إلى الاستغفار والبكاء من خشيته سبحانه.

ثانياً **الإنصات والتدبر للتذكرة والموعظة**: فكم من كلمة طيبة كانت سببا في تغيير حياة إنسان من الغفلة إلى الاستقامة.

ثالثاً :**محاسبة الجوارح ومخاطبتها**: فعن أحمد بن إبراهيم قال: نظر يونس بن عبيد[1] إلى قدميه عند موته فبكى وقال: قدماي لم تغبرا في سبيل الله! ، فهذه إذن حسرات الصالحين، حسرة يوم يذكر طاعة لم يتمها، وحسرة يوم يذكر خيرا لم يشارك فيه، وحسرة يوم يمر عليه وقت لا يذكر الله تعالى فيه.

رابعاً **التأمل والنظر في أحوال السلف الصالح** من الصحابة والتابعين ومن تابعهم ونهج نهجهم من علماء الأمة في هذا الباب وسوف يرى بوضوح أن البكاء كان سمة مميزة لهم.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

---

(١)يُونس بن عُبَيْد(٠٠٠ - ١٣٩ هـ = ٠٠٠ - ٧٥٦ م)
يونس بن عبيد بن دينار العبديّ بالولاء، البصري، أبو عبد الله، أو أبو عُبيد: من حفاظ الحديث الثقات. من أصحاب الحسن البصري. كان من أهل البصرة. يبيع بها الخز. ونعته الذهبي بأحد أعلام الهدى. قال أحد الغزاة: والله إنا نكون في نحر العدو فإذا اشتد علينا الأمر قلنا اللَّهمّ رب يونس فرّج عنا، فيفرج عنا! ولما مات حمله بنو العباس على أعناقهم. له نحو مئتى حديث.

رجل دعته امرأة ذات منصب

الحمدُ لله ناصر المظلومين ومجيب دعوة المضطرين ومفرج الكرب عن المكروبين.

سبحانه مُنقذ الغرقى وشافي المرضى وعالم السر والنجوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعدله ضل الضَّالون. لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون. . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله الصادقُ المأمون. اللهمّ صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين هم بهديه مستمسكون. وسلِّمْ تسليماً كثيراً.

أما بعد فيا أيها الناس:

اتقوا الله حقَّ تُقاته. وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته، وأجيبوا الداعيَ إلى دار كرامته وجناته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

عباد الله: مازلنا وإياكم في ظلال الحديث المبارك «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه،**

ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

ووقفتنا اليوم مع الصنف الخامس «**ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله**».

الله تعالى أمر المؤمنين بغض البصر وحفظ الفرج وسائر الجوارح عن الحرام، وأخبرنا أننا مسؤولون عن كل جارحة يوم القيامة قال تعالى:

﴿**ولاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾[الإسراء: ٣٦]، والنبي -ﷺ- بيّن فضل من يدفعه خوفه من الله إلى حفظه هذه الجارحة عن الحرام، ففي صحيح البخاري عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال: قال -ﷺ-: «**من يضمن لي ما بين رجليه وما بين لحييه اضمن له الجنة**» أي: من حفظ فرجه وحفظ لسانه، فإن النبي -ﷺ- كفيل وضمين وزعيم له بالجنة بإذن الله جل وعلا.

ووصفهم الله بالفلاح والفوز والنجاح فقال تعالى في سياق وصف المؤمنين:

﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ*الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾. . الآية إلى أن يقول (جل جلاله): ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ*إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ*فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾.

ما جزاءهم؟ ما ختامهم؟: ﴿**أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُون*الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا**

﴿خَالِدُونَ﴾[المؤمنون: ١٠-١١].

عباد الله: ما الذي يدفع المسلم إلى الوقوف أمام الشهوات والمعاصي كالجبل الأشم؟

إنها العفة.

العفة: الخلق الإيماني الرفيع.

العفة: صبرٌ وجهاد واحتساب.

العفة: قوةٌ وتحمل وإرادة.

العفة صون للأسرة المسلمة من الأهواء والانحرافات والشذوذ.

العفة دعوةٌ إلى البعد عن سفاسف الأمور وخدش المروءة والحياء.

العفة لذة وانتصار على النفس والشهوات، العفة إقامة العفاف والنزاهة والطهارة في النفوس، وغرس الفضائل والمحاسن في المجتمعات.

وقد ورد أن رجلا من الصالحين سمع بشخص في بلدة، مجاب الدعاء فذهب إليه واستضافه ثلاث ليال فلم يجد فيه شيئًا زيادة فقال له بعد الأيام الثلاث: «**أسألك ما سر إجابة دعوتك؟** »فقال له: «تلك دعوة نفس عضّها الجوع، وصدَقت لله في السجود والركوع فأعطاها مناها وأجاب دعاها» قال: "وكيف ذلك ؟"قال له: «أصاب الناس قحط فبينما أنا ذات ليلة فإذا بامرأة جميلة تخجل البدر من جمالها دقت الباب وطلبت مني طعامًا فقلت لها لا، إلا أن تراوديني عن نفسك. فقالت لي:

الموت ولا معصية ربي، ورجعت وهي تبكي، ثم رجعت بعد أيام وقد طواها الجوع وأشرفت على الهلاك وطلبت مني طعامًا، فقلت لها: إلا أن تراوديني عن نفسك، فقالت: الموت ولا معصية ربي الموت ولا معصية ربي، فعادت ولم تكد تحتمل فقلت لها مثل ذلك فرجعت وهي تبكي فلحقت بها وسمعتها تقول آيات و تناجي الله تعالى فلما سمعتها تقول ذلك دخل الإيمان قلبي وحب الخير وتبت إلى الله فقلت لها ارجعي وخذي ما تشائين لوجه الله فرجعت وفعلت ثم رفعت يديها إلى السماء وقالت: «**اللهم كما هديت قلبه وأنرت لبه فأجب دعاءه ولا تردّه اللهم خائبا**».

والمرأة تدخل في هذا الباب: لو أن رجلاً ذا منصب وجمال دعاها إلى نفسه فأغراها بالمال، وامتنعت من ذلك، وقالت: إني أخاف الله، قال ابن حجر: فهي تدخل في ظل عرش الله، فهي من السبعة الذين يكونون في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله.

«ورجلٌ دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله».

كان النبي -ﷺ- يدعو الله ويقول: « **اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى** » [رواه مسلم]، نعم إنها العفة في المطعم بأكل الحلال، العفة في اللسان بقول الطيب من الكلام، العفة في الفرج بالحلال.

وقال أيضاً -ﷺ-: « **بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم** » [رواه الطبراني بإسناد حسن].

وقال -ﷺ-: « **ثلاثة حقٌ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب**

الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف » [رواه الترمذي].

فكن -يا أخي الكريم- حريصاً على حفظ بيتك بحفظ نفسك.

عفوا تعف نساءكم في المحرم وتجنبوا مالا يليق بمسلم
إن الزنا دين فإن أقرضته كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
يزنِ يزن به ولو بجداره إن كنت يا هذا لبيباً فافهم
من يزنِ في بيتٍ بألفي درهم في بيته يُزنى بغير الدرهم

يُزنى بالمجان ولا حول ولا قوة إلا بالله!

أيها الأحبة في الله:

إن فتنة النساء من أخطر المسائل إن كثيراً من الناس ربما يصمد أمام المدفعية وربما يصمد أمام الرشاش، وربما يصمد أمام القنابل الدبابات ويصبر على حمم الطائرات ودويها، ولكنه لا يصمد دقائق أمام امرأة ذات منصب أو ذات جمال أو جمعت بين الأمرين جميعاً؛ لأن فتنة النساء عظيمة.

فهذا يوسف عليه السلام ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ**﴾[يوسف: ٢٣]، لقد اجتمع ليوسف عليه السلام من الدواعي لإتيان الفاحشة الشيء الكثير، فلقد كان شاباً وفي الشباب ما فيه ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا**﴾[يوسف: ٢٤]، وقد غلّقت الأبواب وهي ربة الدار، وتعلم بوقت الإمكان وعدم الإمكان، وكان ضعيفٌ أمام زوجة الملك. . في قصرها. . في دلالها. . في جمالها. . في أبهتها. . في سلطانها. . بين وصيفاتها وخدمها وحشمها، إنه كان غريباً، والغريب لا يخاف من

العار، و كان أعزباً ليس عنده أهل، وهو أدعى إلى الفاحشة، أو أدعى إلى أن يتمتع، و المرأة هذه كانت ذات منصب، فإنها بإمكانها أن تخرجه وتخرج نفسها، و ذات جمال، فهي امرأة ملك، فترك ذلك كله لله ﷻ، فكان سيد كل من دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: «**إني أخاف الله رب العالمين**».

فكان ماذا؟ ، . . قال: معاذ الله، تذكر ربه، وذكر نعم الله عليه، وذكر ما أنعم الله به عليه فاستعاذ بالله، ومن استعاذ بالله فقد نجا، ومن لجأ إلى الله فقد عصم، ومن توكل على الله فقد كفي.

﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[يوسف: ٢٣]، لماذا؟ وما هو السبب؟

لأنه يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، فأراه الله برهان ربه ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[النازعات: ٤٠]. ، ولما هددته وبلغ التهديد منه مبلغاً حتى طاردته، هل انتهى الأمر؟ لا: ﴿**وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلِيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾، إما أن يفعل الفاحشة، إما أن يختار الرذيلة، إما أن يجيء إلى الفراش، وإما أن يسجن. فماذا قال عليه السلام تدعوه وتهدده، فماذا يقول؟ : ﴿**رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾، هل منا من قال ذلك؟ ﴿**رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾[يوسف: ٣٣].

فاتقوا الله معاشر المسلمين، وتخلقوا بأخلاق رسول الله -ﷺ-، واهتدوا بهديه تفلحوا، ويتحقق لكم ما وعدكم به من الاستظلال في ظل الرحمن يوم لا ظل

إلا ظله.

اللهم أظلنا تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله، ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، سيد الأولين والآخرين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، و بعد:

عباد الله:

نتكلم عن العفة في زمنٍ سُخّر الإعلام بأنواعه من مقروء ومسموع ومشاهد لبث ما يثير مكامن الشهوة، ويخمر العقل، ويُفسد الروح مما يفسد على الناس عفتهم ويضعفها.

نتكلم عن العفة في زمنٍ أُعجب بعض المسلمين بنظم الغرب وتقاليده، وانبهروا بحضارته ومدنيته.

العفة في عصرٍ يُراد فيه تعرية المرأة وتحريرها واستعبادها وإخراجها من بيتها للتمثيل والإبداع في مسابقات الجمال وعروض الأزياء والفنون الجميلة وغيرها مما يجلب الفساد والإفساد للمجتمعات.

العفة في عصرٍ يُراد فيه تيسير المحرم، وتكثير سبل الغواية وطرق الفاحشة، وتنوعها في الأسواق والطرقات والمحلات ،...إلى غير ذلك.

العفة في زمنٍ يُدعى فيه إلى الحرية للفن، والترويج له وكسر القيود أمامه، وصرف طاقات وشباب وعقول الأمة لهذا العفن.

نتكلم عن العفة في أيام نرى فيها غياب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر والتساهل فيه وعدم الاهتمام به والرفع من شانه وأنه صمام المجتمع.

يقول -ﷺ-: « **ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عينٌ حرست في سبيل الله، وعينٌ بكت من خشية الله، وعينٌ كفّت عن محارم الله** » [رواه الطبراني].

وقد روى السلف: أن شابا عابداً كان بالكوفة، فتعرضت له امرأة في الطريق، وقالت له: يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها. أنتم معاشر العباد على مثال القوارير، أدنى شيء يعيبها، وجملة ما أقوله لك: إن جوارحي كلها مشغولة بك، فالله الله في أمري وأمرك.

ومضى الشاب في طريقه ثم كتب إليها قائلا: اعلمي أيتها المرأة أن الله ﷻ إذا عصاه العبد حلم، فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره، فإني أُذكّرك يوما تكون السماء فيه كالمهل، وتصير الجبال كالعهن، وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف بإصلاح غيري؟ وإن كان ما ذكرت حقا فأنا أدلك على طيب هدى، يداوي الجروح الممرضة والأوجاع المنغصة، ذلك هو رب العالمين، فاقصديه بصدق المسألة، فإني مشغول عنك بقول الله تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ *يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾ [غافر: ١٩]، فأين المهرب أيتها المرأة من هذه الآية؟

وبعد أيام تعرضت له، فأراد الرجوع عن الطريق فقالت له: أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك، وامنن علي بموعظة أحملها عنك، وأوصني بوصية أعمل بها، فقال لها: «أوصيك بحفظ نفسك من نفسك، وأذكرك بقول الله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنعام: ٦٠]

ومن الأمور التي سطّرها التاريخ أن شاباً وسيماً يقال له: محمد المسكي كان هذا الشاب يأكل من كسب يده، يصنع المراوح التي تعمل باليد، وكان يدور في الأزقة والأسواق ويبيع مراوحه هذه ويأكل من كسب يده، فرأته امرأة وكانت ذات مالٍ فأعجبت به، وترصّدت له عند الباب، فلما مر جوار بابها، قالت: هل عندك مراوح غير هذه؟ قال: نعم. فأرخت له الستر أو فتحت له الباب، وقالت: ادخل لأرى، فلما دخل وكان منصرفاً عنها يظن أنها سترى ما في يده من المراوح، ثم يبيعها أو لا تشتري إن أبت، ثم يخرج، فما دخل قليلاً إلا وجذبته وأدخلته دهليز بيتها، وأغلقت الباب دونها ودونه، وقالت: إما أن تفعل بي الفاحشة وإما أصيحن بك بين الناس إن فلان بن فلان اقتحم بيتي وتسور داري ودخل وأراد أن يفعل بي الفاحشة، فأصبح في محنة عظيمة، إن فعل الفاحشة أصبح ممن زنوا، والزنا شأنه خبيث وخطير، والله سماه سوء السبيل: ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾[الإسراء: ٣٢]، فيه فحش وفيه سوء السبيل، وإن فضح نفسه فهو في مصيبة عظيمة، فقلّب النظر وأدار الفكر، فقال: حسناً: أريد الحمام، فلما خلت بينه وبين الحمام، فما كان منه إلا أن نزع الغطاء عن الحش وبيت الغائط، ثم أخذ يغرف من الغائط ويمسح على رأسه وثيابه وأجزاء بدنه، فلما ملأ بدنه بهذا خرج إليها وناداها، فلما رأته بهذه الصورة أخذت تسبه وتشتمه وطردته من بيتها.

انظروا إلى هذا الشاب الذي يُدعى إلى الزنا فيأبى ولا يريد الفضيحة على نفسه، فهُدي إلى هذه الفكرة الذكية، واختار أن يلطخ نفسه وبدنه بالبول والغائط حفاظاً ألا يطأ مكاناً حرّمه الله عليه، ألا يلمس جسداً حرمه الله عليه، ألا يقول كلاماً يحاسب عليه، فلما خرج من بيتها أخذ يدعو ربه أن تُصرف الأبصار عنه حتى بلغ بيته وغيّر ملابسه واغتسل مما هو فيه من النجاسة، فما هي إلا لحظات حتى فاح المسك

من جميع أجزاء بدنه!

أكرمه الله جل وعلا، جل ربنا أن يعامله العبد نقداً فيجازيه نسيئة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[التوبة: ١٢٠]. . ﴿**إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**﴾[الكهف: ٣٠]، لقد أحسن العمل فجاءه حسن الجزاء، أصبح ما يحل محلاً إلا والمسك يفوح من طريقه، حتى أصبح معروفاً أن فلان بن فلان مر من هذا الطريق بدليل رائحة المسك، وفلان بن فلان في ذلك المسجد بدليل رائحة المسك، وسُمي محمد المسكي نسبة إلى هذه الكرامة التي أكرمه الله جل وعلا بها.

ولذلك يقول الأندلسي وهو يوصي ابنه:

وإذا خلوت بريبةٍ في ظُلمةٍ والنفس داعيةٌ إلى الطغيان
فاستح من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

وقال آخر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عَلَيَّ رقيب
ولا تحسبنّ الله يغفل ساعةً ولا أن ما تخفيه عليه يغيب

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

❁ ❁ ❁

أسرة مباركة

الحمد لله رب العالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مخلصين له الدين، وأشهد أن محمداً خاتم النبيين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى وقوّوا صلتكم به بطاعته، وفعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه، والإكثار من دعائه، فإنه لا غنى بكم عنه طرفة عين.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[آل عمران: ١٠٢].

عباد الله:

نقف وإياكم مع أُسرةٍ مباركة، أسرة من أُسر الأنصار، أُسرة نتعلم منها الشجاعة في قول الحق، الصبر على البلاء، الجهاد في سبيل الله الكرم.

تلك الأسرة هي أُسرة الصحابي الجليل أنس بن مالك خادم النبي -ﷺ-.

إنها أُسرة أم سُلَيم رضي الله عنها، هذه المرأة الصالحة، هذه الصحابية الجليلة أم سُلَيم المكناة بالرُّمَيْصَاء، قال عنها النبي -ﷺ-: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ**»[أخرجه البخاري ومسلم].

ورؤَى الأنبياء وحي وحقّ، ألم تقرؤوا قول رب العزة عن إبراهيم إذ قال لابنه: ﴿**يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾[الصافات: ١٠٢]، فهي امرأة لا

كالنساء، وصحابية جليلة من خيرة الصحابة، هي مبشرة بالجنة، ولعل هذه البشارة بالجنة تثير الانتباه وتجعلنا نتساءل: كيف وصلت هذه المرأة إلى هذه المرتبة؟

لما أسلمت جاءت إلى مالك زوجها، وكان رجلا مخمرًا، كان لا يفارق الخمر، كانت هذه المصيبة متجذّرة فيه لا يستطيع مفارقتها بتاتًا ولو ضحّى بكل شيء في سبيلها كشأن المخمرين. فقالت: جئت اليوم بما تكره، فقال: لا تزالين تجيئين بما أكره من عند هذا الأعرابي، قالت: أعرابيًا اصطفاه الله واختاره وجعله نبيًا، قال: ما الذي جابه؟ قالت: حُرِّمت الخمر، قال: هذا فراق بيني وبينك، فمات مشركًا، وتركها وأبناءها. وكفاهم الله شره [رواه البزار بسند رجاله ثقات]، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**﴾ [الطلاق: ٢]، ومن هنا رسالة إلى كل امرأة أن لا تفتر من نصيحة زوجها بالحسنى وتدله إلى الخير، ولعل هذا ـ إخوتي الكرام ـ أول امتحان تعرضت له هذه المرأة الصالحة المؤمنة، ولا يخفى أنه امتحان عسير، فإنه ليس من السهل أن تعرض أسرتك بين عشية وضحاها لزلزال عظيم مثل هذا بدافع الإسلام، وفي سبيل الإسلام.

فجاءها أبو طلحة الأنصاري ـ وهو المكوِّن الثاني للأسرة المؤمنة المرضية ـ يخطبها، وقد ترك لها مالك وَلَدين: أنس بن مالك والبراء بن مالك ﭫ، وسيأتي الحديث عنهما إن شاء الله. فقالت أم سُلَيم ﭬ: يا أبا طلحة، أنت لست ممن يُردّ، ولكنك مشرك نجس، وأنت محرّم عليَّ ما دمت مشركًا، قالت: فإني أشهدك وأشهد نبي الله -ﷺ- أنك إن أسلمت فقد رضيت بالإسلام منك، قال: فمن لي بهذا؟ قالت: يا أنس، قم فانطلق مع عمك، قال: انس -ﭫ- فأنطلقنا حتى إذا كنا قريبًا

من نبي الله -ﷺ- فسمع كلامنا فقال: «هذا أبو طلحة بين عينيه عزة الإسلام»، فسلم على نبي الله -ﷺ- فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فزوّجه رسول الله -ﷺ- على الإسلام. [رواه البزار].

فكان هذا الصداق أعظم صداق في المدينة المنورة: الإسلام، الدين العظيم.

نعم أيها المسلمون أكثر النساء بركة أقلهن مهورا فليتق الله آباء البنات ولا يكونوا سببا في انتشار الفاحشة، قال -ﷺ-: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»[خرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه والحاكم، والحديث حسن بمجموع طرقه].

فتحسّن إسلام الرجل، فصار -رضي الله عنه- مضرب المثل في النفقة والاستجابة لأمر الله تعالى. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[آل عمران: ٩٢]، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا ـ يَا رَسُولَ اللَّهِ ـ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «**بَخٍ! ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**»، فَقَالَ: أَبُو طَلْحَةَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.

كما أصبح هذا الرجل العظيم من كبار الصحابة المجاهدين، فشهد المشاهد كلها مع رسول الله -ﷺ-، وكان له يوم أحد موقف مشهود، إذ ثبت مع القلة مع الرسول -ﷺ- وقال عنه -ﷺ-: «**لَصَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ فِئَة**»[رواه أحمد].

ويوم حُنين حين ضاقت على المسلمين الأرض بما رحبت كان أبو طلحة كعادته من أبرز أبطالها الصامدين. عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قالَ: قالَ رَسُولُ الله -ﷺ- يَوْمَئِذٍ يَعْنِي يَوْمَ حُنَيْنٍ: «**مَنْ قَتَلَ كَافِرًا فَلَهُ سَلَبُهُ**»، **فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلاً وَأَخَذَ أَسْلاَبَهُمْ**». [أخرجه أَبُو دَاوُدَ وقال: "هَذَا حديثٌ حَسَنٌ].

وتابع مسيرته الجهادية في كبره حتى لقي الله تعالى في سبيل الجهاد. عن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية: ﴿**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً**﴾[التوبة: ٤١]، فقال: ألا أرى ربي يستنفرني شابًا وشيخًا؟ جهزوني. فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله -ﷺ- حتى قُبض، وغزوت مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك. فقال: جهزوني. فركب البحر فمات. فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير. [قال الهيثمي: [رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح].

فلقي الله تعالى بعد عمرٍ حافل بخدمة الإسلام والاجتهاد في طاعة الله، وذلك سنة أربع وثلاثين للهجرة، وهو ابن سبعين سنة -رضي الله عنه-.

العنصر الثالث من هذه الأسرة ـ معشر الإخوة ـ هو أنس بن مالك -رضي الله عنه- خادم رسول الله عشر سنوات، حرصت أمه أن يكون رفيقَ سيد الخلق -ﷺ-؛

ليلتصق بنبع الخير والهداية، فجاءت به إلى رسول الله -ﷺ- فقالت: يا رسول الله، خادمك أنس ادع الله له، فقال: «**اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**»، قال أنس: فلقد دفنت من صلبي سوى ولد ولدي خمسًا وعشرين ومائة، وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين، وما في البلد شيء يثمر مرتين غيرها. [رواه الطبراني].

وكان -رضي الله عنه- من أكثر الناس رواية عن الرسول -ﷺ-.

أما الشخصية الرابعة فهو البراء بن مالك أخو أنس بن مالك، هذا الرجل العظيم المجاهد، قال عنه الرسول -ﷺ-: «**كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ**» [أخرجه الترمذي وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْه"].

إن الإنسان ـ معشر الأحبة ـ لا يُقاس بطوله ولا بعرضه ولا بماله ولا بجاهه ولا بسلطانه، وإنما يُقاس بعمله وإيمانه. وعاش هذا الصحابي الجليل مجاهدًا مقدمًا متفانيًا بماله ونفسه ودمه في عهد الرسول -ﷺ-، وفي عهد أبي بكر -رضي الله عنه-، وفي جهاد الفُرس استعصت معركة على المسلمين والمجاهدين فجاؤوا إلى سيدنا البراء فقالوا: إن الأمر اشتد علينا، فادع الله أن ينصرنا؛ لأن المسلمين الأوائل ـ أيها الإخوة ـ كانوا يعرفون جيدًا أن الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء وينصر من يشاء هو الله، فلا الشرق ولا الغرب، قال تعالى: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾[آل عمران: ١٢٦]. فرفع البراء في زحمة المعركة وشدتها يديه فقال: «**اللهم انصرنا، وارزقنا أكتافهم، وارزقني الشهادة في سبيلك**»، فلما انتصر المجاهدون وأظهر الله تعالى الحق بحثوا عن البراء فإذا هو شهيد بين الشهداء.

فهذه ـ أيها الإخوة الأعزاء ـ عناصر هذه الأسرة العظيمة الفريدة، فما هي المبادئ التي كانت تعيش عليها ولأجلها مما جعلها تنال ما نالت من الفضل وجعلت منها منارة للهداية؟

أول هذه المبادئ وأعظمها هو الإسلام وأولويته، فقد أُسّست على كلمة الله ووفْق تقواه، فعلى أساس الإسلام بُنيت الأسرة، وعلى أساسه عاشت، وعلى أساسه يجب أن تحيا كل أسرة تنشد الرشد، فبسببه فارقت أم سُلَيم زوجها الأول مالكًا، وعلمنا أن أبا طلحة لما جاءها خاطبًا لم تطلب منه مالاً ولا جاهًا ولا سلطانًا، وإنما طلبت منه أن يكون مسلمًا وكفى.

إن الإنسان ـ أيها الإخوة -رضي الله عنه- ـ بلا دين مصيبة وكارثة. إذا جاءك إنسان لا دين له وزوّجته ابنتك فقد قطعت رحمها وعصيت ربك، و أهلكتها. الحسن البصري -رحمه الله- جاءه أحد الناس فقال: إن الناس يخطبون مني ابنتي فلمن أزوجها؟ فقال: «**يا أخي، زوجها التقيّ، إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها**».

ثم إن هذه الأسرة ـ وعلى رأسها أم سُلَيم ـ كانت أحرص ما تكون على تعلّم دينها، فصحّ عند البخاري ومسلم وغيرهما عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيم إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «**إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ**»، فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي: وَجْهَهَا. وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ ! قَالَ: «**نَعَمْ تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا**». فلقيها نسوة فقلن لها: يا أم سُلَيم، فضحتينا عند رسول الله -ﷺ-!

قالت: ما كنت أنتهي حتى أعلم أفي حلال أنا أم في حرام.

هذا مبدأ ـ أيها الإخوة المؤمنون ـ ينبغي للحياة كلها أن تتأسّس عليه، ليس هناك من عمل سرّي أو خاص بفئة دون أخرى، فالرسول -ﷺ- بعثه الله للرجال والنساء، فما من خطوة يخطوها المسلم إلا وهو ملزم أن يعلم أفي حلال هو أو في حرام.

ومن حرص أُم سُلَيم على العلم ما روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَتْ أُمّ سُلَيم إِلَى النّبِيّ -ﷺ- فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ، عَلّمْنِي كَلِمَاتٍ أَدْعُو بِهِنّ فِي صَلاَتِي، قَالَ: «**سَبّحِي اللّهَ عَشْرًا، وَاحْمَدِيهِ عَشَرًا، وَكَبّرِيهِ عَشْرًا، ثُمّ سَلِيهِ حَاجَتَكِ، يَقُلْ: نَعَمْ، نَعَمْ**». يعني: إذا سبحت عشرًا، وكبرت عشرًا، وحمدت عشرًا، وطلبت الله تعالى، يقول لك الله: لبيك يا أمَتي، ويستجيب لك.

بل الأعظم من ذلك أن النبي -ﷺ- لما عرف حرص هذه الأسرة على العلم والتعلم كان يخصها بزيارات، فكان -ﷺ- كما ورد في أحاديث صحيحة يقيل عندها مرارًا، ويصلي بهم في بيتها، لماذا أيها الإخوة؟ ليتعلموا منه مباشرة، وليتبرّكوا به مباشرة -ﷺ-.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، واشهد أن سيدنا محمد -ﷺ- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع اخوانه.

وبعد ..

أيها الإخوة: إن الركن الأساس الذي بُنيت عليه هذه الأسرة الطيبة هو الإسلام وتعلمه، وبالفعل فالأسرة المحرومة من مجالس القرآن ومن سماع القرآن ومن الكتب الإسلامية ومن تفاسير القرآن ومن قصص الأنبياء والصالحين، هذه أسرة محرومة من الخير. إن الإنسان ـ معشر الإخوة ـ إذا أراد رحمة الله والسعادة في بيته لا بد له من إدخال التقوى والخير إلى بيته.

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكن التقي هو السعيد

كما كانت أُم سُليم الغايةَ في حسن التلطف والتودّد إلى زوجها في كل حال. أخرج مسلم وأحمد وأبو داود عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَقُبِضَ الصَّبِيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيم: هُوَ أَسْكَنُ مِمَّا كَانَ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «**أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟**" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا**». فرزقهم الله بعد تسعة من الأولاد كلهم قرؤوا القرآن الكريم. وفي رواية لأحمد: ثم تصنعت له فأصابها، فلما فرغ قالت: ألا تعجب لجيرانك، أُعيروا عارية، فطُلِبت منهم فجزعوا! فقال: بئس ما صنعوا، فقالت:

ابنك كان عارية فقُبض، فحمد واسترجع.

ثم إن هذه الأسرة - أيها المسلمون - زيادة على ما ذكرناه، كانت القمة في الكرم والجود، والقمة في الضيافة، والمثال في الاهتمام بالحالة الاجتماعية للمجتمع. فمما يُروى عن هذه الأسرة الطيبة ﷺ أن أبا طلحة خرج يومًا فوجد الرسول - ﷺ- يعلّم أهل الصفة سورة النساء كما جاء في بعض الروايات، ولاحَظ أن النبي - ﷺ- قد عصب بطنه من شدة الجوع، فأثَّر هذا في نفس أبي طلحة، فجاء إلى أم سُلَيم فقال لها: يا أم سُلَيم، لقد رأيت رسول الله -ﷺ- يعصب بطنه من شدة الجوع، فهل لديك شيء من الطعام؟ فقالت له: إذا جاءنا الرسول -ﷺ- وحده أشبعناه. فأرسل أنس بن مالك إلى الرسول -ﷺ-. قَالَ أنس: بَعَثَنِي أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- لأَدْعُوَه وَقَدْ جَعَلَ طَعَامًا، قَالَ: فَأَقْبَلْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَعَ النَّاسِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقُلْتُ: أَجِبْ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «**قُومُوا**»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا صَنَعْتُ لَكَ شَيْئًا. قَالَ: فَمَسَّهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَدَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَة، ثُمَّ قَالَ: «**أَدْخِلْ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِي عَشَرَةً**»، وَقَالَ: «**كُلُوا**»، وَأَخْرَجَ لَهُمْ شَيْئًا مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِه، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا فَخَرَجُوا، فَقَالَ: «**أَدْخِلْ عَشَرَةً**» فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، فَمَا زَالَ يُدْخِلُ عَشَرَةً وَيُخْرِجُ عَشَرَةً حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَ فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ، ثُمَّ هَيَّأَهَا فَإِذَا هِيَ مِثْلُهَا حِينَ أَكَلُوا مِنْهَا.

وفي أسرة أبي طلحة في الراجح نزل قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[الحشر: ٩]. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ- فَبَعَثَ

إِلَى نِسَائِهِ، فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلاَّ الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «**مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟**" فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً. فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: «**ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ مِنْ فعَالِكُمَا**»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[الحشر: ٩].

كما كانت هذه الأسرة في طليعة العاملين لنشر دين الله تعالى وجهاد أعدائه الصادين عن سبيل الله.

فقد سبقت الإشارة إلى بلاء أبي طلحة -رضي الله عنه- في ميادين الجهاد والفداء، وسبق ذكر جهاد البراء -رضي الله عنه-، وما أكرمه الله به من الشهادة في سبيله. قال البخاري: حدثنا موسى، حدثنا إسحاق بن عثمان: سألت موسى بن أنس: كم غزا أنس -رضي الله عنه- مع النبي -ﷺ-؟ قال: ثماني غزوات.

ولم تكن أم سُلَيم رضي الله عنها لتحرم نفسها من مرافقة الرسول -ﷺ- في غزواته، فقد كانت مجتهدة في الخروج معه وتحمل المشاق في مساعدة المقاتلين ومداواتهم والقتال معهم إذا اقتضى الحال. ومن ألطف ما يروى عن شجاعتها وثباتها ما حصل في غزوة حنين. أخرج مسلم وأبو داود عن أنس -رضي الله عنه-: أن أم سُلَيم اتخذت يوم حنين خنجرًا فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، هذه أم سُلَيم معها خنجر! فقال لها رسول الله -ﷺ-: «ما هذا الخنجر؟ » قالت: اتخذته إن دنا مني

أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله -ﷺ- يضحك، قالت: يا رسول الله، اقتُلْ مَن بعدَنا من الطلقاء انهزَمُوا بك، فقال رسول الله -ﷺ-: «**يا أم سُلَيم، إن الله قد كفى وأحسن**».

هذه ـ إخواني ـ هي أسرة أم سُلَيم، وهذه بطاقة تعريف لعناصرها البارزة، وتلكم المبادئ التي تأسست عليها وعاشوا لأجلها، فغنموا السعادة والريادة في الدنيا، والفوز برضوان الله ورسوله، وذلك هو الفوز العظيم.

جعلني الله تعالى والإخوة من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ونسأله سبحانه أن يصلح أحوالنا. والحمد لله رب العالمين.

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾. [الأحزاب: ٥٦]اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

❁ ❁ ❁

الأمة والعدل «١»

الحمد لله رب العالمين، القائل (ﷻ) في محكم التنزيل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال كما الحديث القدسي: «**يا عبادي، إني حَرَّمْتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَموا**»، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، وخِيرتُه من خلقه، وأمينُه على وحيه، . . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن سار بدعوته واستَنَّ بِسُنَّتِهِ إلى يوم الدين.

أيها الناس: اتقوا الله، فتقوى الله خير الزاد، وهي أفضل ما ادخرتم، وخير ما عملتم، بها تنال محبة الله، تنجيكم من النار، وتقربكم من دار الأبرار، العون والنصر معلق بها، ومحبة الله لأهلها.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[آل عمران: ١٠٢].

عباد الله:

لقد خلق الله ﷻ الإنسانية ولم يخلقها عبثاً تعبث بها الأهواء ويتسلط فيها الأقوياء على الضعفاء، والأغنياء على الفقراء ولكنه ﷻ أنزل الكتب وأرسل الرسل لتعريف الناس بخالقهم وبيان الغاية التي خلقوا من أجلها قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[الحديد: ٢٥]،

فكانت دعوة الرسل من أجل إقامة العدل في الأرض ونصرة المظلوم، ودارت المعركة بين الرسل والملوك الظلمة من أجل تحرير هذا الإنسان من الظلم: فقد قال نبي الله موسى لفرعون: ﴿**أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[الشعراء: ١٧]، فكانت رسالة موسى (عليه السلام) من أجل إطلاق سراح بني إسرائيل من ظلم فرعون وعبوديته إلى عدل الله وعبادته سبحانه وحده: وأرسل الله محمداً -ﷺ- لهذه الغاية كذلك فهو الذي أنزل عليه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى**﴾، وأنزل عليه: ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**﴾[النساء: ٥٨].

إن المصطفى -ﷺ- علّمنا قيمة العدل وخطورة الظلم حين قال -ﷺ- « **إنه لا قُدّست أمة لا يأخذ الضعيف حقه غير متعتع** »[أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨١٠ ، رقم ٢٤٢٦) ، وأبو يعلى (٢/ ٣٤٤ ، رقم ١٠٩١)] ، فهل عرفت البشرية حقوقها إلا في ظل المنهج الإسلامي فهذا أبو بكر -رضي الله عنه- يقول: «**الضعيف منكم عندي قوي حتى آخذ الحق له والقوي منكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه**».

وهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أراد أن يختبر جرأة الناس في قول الحق فقال ما تقولون لو حِدت عن الطريق هكذا؟ ماذا انتم فاعلون لو تجاوزت لو طغيت؟ ماذا تقولون لو ملت برأسي إلى الدنيا كذا؟ ''أي لو انحرفت عن الثوابت المتفق عليها في كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- ماذا قال له الشعب؟ هل قالوا له أنت لا تخطيء أبداً، أنت نور الزمان، هل جاملوه؟ كلا إنما قام أحد المصلين من الناس البسطاء وقال: «لو ملت برأسك إلى الدنيا كذا، لقلنا بسيوفنا كذا »، وأشار إلى القطع. فقال له عبد

الرحمن بن عوف -رضي الله عنه-: «ويلك أتقول هذا لأمير المؤمنين»؟ فما يكون من أمير المؤمنين إلا أن يوقفه ويقول: «**دعه فليقلها لنا، فوالله لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ولا خير فينا إن لم نسمعها منكم**».

بهذه القواعد والمرتكزات قام المجتمع الإسلامي يرعى بعضه بعضاً وينصر بعضه بعضاً، ويحكم القاضي لليهودي على الخليفة فيعترف اليهودي بالحق، ويقول: بهذا العدل قامت السموات والأرض، والإسلام يوم حارب الظلم وأقام العدل فإنه أعلن حربه على الأهواء والغرائز وجعل الناس يحتكمون لشرع الله، قال عز وجل: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾[الجاثية: ١٨].

فالظلم منبعه من تسلُّط الأهواء والغرائز ،ومن البعد عن شريعة الله وعدم الخوف من عذاب الله.

الظلم منبعه من نسيان التعاليم الإسلامية التي يأت في مقدمتها قول الله في الحديث القدسي: « **إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً**» وقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه** »، ولذلك فإن الظلم يسير بالحياة الإنسانية سيراً خاطئاً نحو الهاوية.

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾[الأنعام: ٨٢].

ومفهوم الآية أن الإيمان بالله والحكم بما أنزل الله وإخلاص العمل لله هو

طريق آمن للأمة واستقرارها وما تشهده الأمة من سفك للدماء وهتك للأعراض ومصادرة للحريات ونهب وسطو وقسوة: إنما هو نتيجة طبيعية للظلم الذي ساد في الأرض.

ومن أجل تحقيق الأمن والهداية والاستقرار والحرية للبشرية فإن الإسلام وصل به الأمر في مقاومة الظلم إلى أن شرع النضال من أجل تحرير المظلومين قال تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً**﴾[النساء: ٧٥].

وما شرع الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا من أجل مقاومة الظالمين، وإلا فماذا يعني حديث الرسول -ﷺ-: « **سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى سلطان جائر فنصحه فقتله** »[رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد]، لقد كان قيام هذا الداعية من أجل نصرة الحق وتحرير المظلومين.

وجاء في حديث آخر قوله -ﷺ-: « **أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً** »[رواه البخاري]، ونصرة الظالم منعه وأطره على ألا يقدم على الظلم، وفي الحديث يقول -ﷺ-: « **لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً أو لتقصرنه على الحق قصراً أو ليوشك أن يلعنكم كما لعنهم** »[أخرجه أبو داود و الترمذي]، فهل لُعن بني إسرائيل إلا لصمتهم عن الحق وعدم نصرتهم للحق وللمظلومين.

إن من خذل مظلوماً خذله الله ومن نصر مظلوماً نصره الله في موطن يحب أن يُنصر، ومع هذا كله فإن الظلم ربما اشترك فيه الظالم والمظلوم، فقد يكون فيها المظلوم أيضاً ظالماً إذا لم يبذل جهده في مقاومة الظلم ومحاربته، وإلا فماذا يعني قول الله ﷻ في أكثر من آية: ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[النحل: ١١٨]، ظلموا أنفسهم لأنهم جهلوا الحق أولاً، ولأنهم لم يعملوا بهذا الحق ولأنهم لم ينصروا أولياء الله ولم يحددوا هو يتهم فظلموا أنفسهم.

دعونا نتأمل هذه الآية في سورة سبأ التي تجعل الظالم والمظلوم مسئولين بين يدي الله على حد سواء، فالله ﷻ يقول: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ**﴾[سبأ: ٣١]، فهذا هو المستكبر والمستضعف يقفان معاً أمام الله للمحاسبة لأن المظلوم تبع الظالم ونصره وهتف باسمه وصفّق له، فاليوم يجني حصاد ما فعل، ولن تنفعه براءته يوم القيامة: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ**﴾[البقرة: ١٦٦]، فالظالم يُعلن براءته من المظلوم والمظلوم.

﴿**وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾[البقرة: ١٦٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، واشهد أن سيدنا محمد -ﷺ- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع أخوانه.

وبعد عباد الله:

إن المظلوم يحب أن يعلن براءته من الظالم هنا في الحياة الدنيا وليس في الآخرة فيوم القيامة يلعن المظلومون الظالمين ولكن لا ينفعهم ذلك، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً**﴾[الأحزاب: -٦٨].

إن المظلوم بإمكانه أن يحارب الظلم والظالمين بما يملك من إمكانات يسيرة:

أولاً: عدم حبه واحترامه القلبي للظالم والظالمين.

ثانياً: ألاّ يجعل لسانه صوتاً إعلامياً لصالح الظلم والظالمين.

ثالثاً: أن يكف عن أي مظهر من مظاهر النصرة له، كانتخابه مثلاً، أو إعطائه المال أو الثناء، أو تكثير سواده، أو غير ذلك.

ومن أشد أنواع الظلم: الظلم السياسي: ونعني به الاستبداد أو مصادرة حرية الناس واستخدام السلطة في قهر عباد الله واستضعافهم واعتقالهم وتكميم أفواههم ومضايقتهم في أرزاقهم، ومن أنواع الظلم: الظلم كذلك الاجتماعي وهو: إن يظلم الناس بعضهم بعضاً.

ويساعد الظلم الاجتماعي على الظلم السياسي.

أيها المسلمون: إن مقاومة الظلم ينبغي أن تكون شاملة فالإسلام لا يرضى ظلم الزوج لزوجته أو عدم العدل بين الاثنتين، إن طريقنا لمحاربة المظالم الكبرى هو أن نكون قدوة في محاربة المظالم الصغرى، أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم على أرضكم.

إن الظلم يورث الذل والضعف ولهذا علينا أن نربي الأمة على شعار: « **متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً** ».

إن الإسلام أخرج رجالاً عبر التاريخ قاوموا الظلم، فالصحابة جميعهم أعلنوا حرباً شعواء على الظالمين وخرجوا يجاهدون في سبيل الله من أجل نصرة المظلوم؛ وماذا تعني كلمات ربعي بن عامر: «**الله ابتعثنا من أجل أن نخرج العباد من عبادة غير الله إلى عبادته ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الطغيان إلى عدل الإسلام** ».

أما التابعين فهذا سعيد بن جبير[1] الذي أنكر على الحجاج فأمر الحجاج باعتقاله فلما صار عنده، نظر إليه في حقد، وقال: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، فقال: بل شقي بن كسير، قال: بل كانت أُمِّي أعلمَ باسمي منك، هذا هو اسمي، قال: ما تقول في محمد؟ قال: تعني محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: نعم، قال: سيد ولد آدم، النبي المصطفى، خير من بقي من البشر، وخير من مضى،

(١)سَعيد بن جُبَير(٤٥ - ٩٥ هـ = ٦٦٥ - ٧١٤ م)سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعيّ، كان أعلمهم على الإطلاق. وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيدا. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه.

حمل الرسالة وأدى الأمانة، ونصح لله ولكتابه، ولعامة المسلمين، وخاصتهم، قال: فما تقول في أبي بكر؟ قال: هو الصديق خليفة رسول الله، ذهب حميداً، وعاش سعيداً، ومضى على منهاج النبي صلوات الله وسلامه عليه، لم يغيِّر، ولم يبدل، قال: فما تقول في عمر؟ قال: هو الفاروق الذي فرّق الله به بين الحق والباطل، وخيرة الله من خلقه، وخيرة رسوله، ولقد مضى على منهاج صاحبَيْه، فعاش حميداً، وقتل شهيداً، قال: فما تقول في عثمان؟ قال: هو المجهِّزُ لجيش العسرة، الحافرُ لبئر رومة، المشتري لبيت لنفسه في الجنة، صهر رسول الله -ﷺ- على ابنتيه، ولقد زوَّجه النبي بوحي من السماء، وهو المقتول ظلماً، قال: فما تقول في عليٍّ؟ قال: ابن عم رسول الله، وأول من أسلم من الفتيان، وهو زوج فاطمة البتول، وأبو الحسن والحسين، سيدي شباب أهل الجنة، قال: فأي خلفاء بني أمية أعجب لك؟ قال: أرضاهم لخالقهم، قال: فأيُّهم أرضى للخالق؟ قال: علمُ ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم، تحقيق طويل، قال: فما تقول فيَّ؟ قال: أنت أعلم بنفسك، قال: بل أريد علمك أنت، قال: إذاً يسوءك ولا يسرك، قال: لا بد من أن أسمع منك، قال: إني لأَعْلَمُ أنك مخالف لكتاب الله تعالى، تُقدِم على أمور تريد منها الهيبة، وهي تقحمك الهلَكَةَ، وتدفعك إلى النار دفعاً، قال: أمَا واللهِ لأقتلنك، قال: إذاً تفسد عليَّ دنياي، وأفسد عليك آخرتك، قال: اختر لنفسك أي قتلة شئت، قال: بل اخترها أنت لنفسك يا حجّاج، فوالله ما تقتلني قتلة إلا وقتَلك اللهُ مثلها في الآخرة، قال: أتريد أن أعفوَ عنك، قال: إن كان العفو فمن الله تعالى، أمّا أنت، فلا أريده منك، فاغتاظ الحجاج، وقال: السيف والنطع يا غلام، فتبَسَّم سعيد، فقال له الحجاج: وما تبسُّمك، قال عجبت من جرأتك على الله، وحلم الله عليك، قال: اقتله يا غلام، فاستقبل القبلة، وقال: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[الأنعام: ٧٩].

قال: حرِّفوه عن القبلة، فقال: ﴿**فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾[البقرة: ١١٥].

قال: كبُّوه على الأرض، فقال: ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى** ﴾ [طه: ٥٥]

قال: اذبحوا عدو الله، فما رأيت رجلاً أَدْعَى منه لآيات القرآن الكريم، فرفع سعيد كفَّيه، وقال: «**اللهم لا تسلِّط الحجاجَ على أحد بعدي**»، قال: فلم يمضِ على مصرع سعيد بن جبير غيرُ خمسة عشر يوماً حتى حمَّ الحجاج، واشتدت عليه وطأةُ المرض، فكان يغفو ساعة ويفيق أخرى، فإذا غفا غفوة استيقظ مذعوراً وهو يصيح: هذا سعيد بن جبير آخذ بخناقي، هذا سعيد بن جبير، يقول: فيمَ قتلتني؟ ثم يبكي، ويقول: مالي ولسعيد جبير، ردّوا عني سعيد بن جبير، فلما قضى نحبه، وورِي في ترابه، رآهم بعضهم في الحلم، فقال له: ما فعل الله بك فيمن قتلتهم يا حجاج؟ قال: قتلني اللهُ بكل امرئ قتلة واحدة، وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة.

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله

بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾. [الأحزاب: ٥٦]اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

الأمة والعدل«٢»

الحمد لله المعز لمن أطاعه واتبع رضاه. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، لا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، اجتباه ربه واصطفاه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبع هديه بإحسان ووالاه، أما بعد:

اتقوا الله عباد الله، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

أيها المسلمون: ما زلنا وإياكم نقف مع العدل وأهميته في حياة الأمم والشعوب وهذا هو اللقاء الثاني.

عباد الله:

بالعدل قامت السموات والأرض، وللظلم يهتز عرش الرحمن.

العدل مفتاح الحق، وجامع الكلمة، ومؤلف القلوب.

إذا قام في البلاد عمَّر، وإذا ارتفع عن الديار دمَّر. إن الدول لتدوم مع الكفر مادامت عادلة، ولا يقوم مع الظلم حقٌّ ولا يدوم به حكم.

لما وليَ الحجَّاجُ بن يوسف الثقفي العراقَ، وطغى في ولايته وتجبَّر، كان

الحسنُ البصري أحدَ الرجال القلائل الذين تصدَّوا لطغيانه، وجهروا بين الناس بسوء أفعاله، وصدعوا بكلمة الحق في وجهه، فعَلِمَ الحجَّاجُ أن الحسن البصري يتهجَّم عليه في مجلس عام، فماذا فعل؟ دخل الحجَّاجُ إلى مجلسه، وهو يتميَّز من الغيظ، وقال لجلاَّسه: تبًّا لكم، سُحقا، يقوم عبدٌ من عبيد أهل البصرة، و يقول فينا ما شاء أن يقول، ثم لا يجد فيكم من يردُّه، أو ينكر عليه، واللهِ لأسقينَّكم من دمه يا معشر الجبناء، ثم أمر بالسيف والنطع - إذا كان يُريد قطعَ رأس إنسان بمكان فيه أثاث فاخر حتى لا يلوِّث الدمُ الأثاثَ يأتون بالنطع، والنطع قطعة قماش كبيرة، أو قطعة جلد، إذا قُطع رأسُ من يُقطع رأسُه، لا يلوِّث الدمُ الأثاث، ثم أمر بالسيف والنطع فأُحضِر، ودعا بالجلاد فمَثُل واقفا بين يديه، ثم وجَّه إلى الحسن بعضَ جنده، وأمرهم أن يأتوا به، ويقطعوا رأسه، وانتهى الأمرُ، وما هو إلا قليل حتى جاء الحسنُ، فشخصتْ نحوه الأبصارُ، ووجفت عليه القلوبُ، فلما رأى الحسنُ السيفَ والنطع والجلادَ حرَّك شفتيه، ثم أقبل على الحجاج، وعليه جلالُ المؤمن، وعزة المسلم، ووقارُ الداعية إلى الله، فلما رآه الحجاجُ على حاله هذه هابه أشدَّ الهيبة، وقال له: ها هنا يا أبا سعيد، تعالَ اجلس هنا، فما زال يوسع له و يقول: ها هنا، والناس لا يصدَّقون ما يرون، طبعا طُلب ليقتل، والنطع جاهز، والسيَّاف جاهز، وكلُّ شيء جاهز لقطع رأسه، فكيف يستقبله الحجَّاج، ويقول له: تعال إلى هنا يا أبا سعيد، حتى أجلسَه على فراشه، ووضَعَه جنبه، ولما أخذ الحسنُ مجلسه التفت إليه الحجَّاجُ، وجعل يسأله عن بعض أمور الدين، والحسنُ يجيبه عن كلِّ مسألة بجنان ثابت، وبيان ساحر، وعلم واسع، فقال له الحجاج: أنت سيدُ العلماء يا أبا سعيد، ثم دعا بغالية - نوع من

أنواع الطيب - وطيَّب له بها لحيته، وودَّعه، ولما خرج الحسنُ من عنده تبعه حاجبُ الحجاج، وقال له: يا أبا سعيد، لقد دعاك الحجاجُ لغير ما فعل بك، دعاك ليقتلك، والذي حدث أنه أكرمك، وإني رأيتك عندما أقبلت، ورأيتَ السيفَ والنطعَ قد حرَّكتَ شفتيك، فماذا قلت؟ فقال الحسن: لقد قلت: يا وليَ نعمتي، وملاذي عند كربتي، اجعل نقمته بردا و سلاما عليَّ، كما جعلت النارَ بردا وسلاما على إبراهيم.

عباد الله:

إن العدلَ من أعظم الفرائض التي افترضها الله على البشر، جعله الله سببًا لاستقرار حياة الناس، وجعله الله تعالى سببًا لشيوع السعادة والأمن، وجعل انعدامَه سببًا لزوال الأمم والمجتمعات، فهو أساسُ الملك، وهو حامي الأمن.

العدل بَلَغَ من عظمته أن الله سمَّى نفسه به، فهو العدل. . العدل المطلق. . ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت: ٤٦]. . العدل أمر الله به البشرية منذ خَلَقَها ومنذ أقامها وأرسل إليها الرسل، فجعلَ لكل جانٍ عقوبةً مناسبةً للجناية التي جَنَاهَا، وأمر الناس أن يُقِيمُوا العدلَ فيما بينهم؛ حتى لا يزولَ ملكُهم ولا تدول دولتُهم. . العدلُ هو سِرُّ بقاء الأمم ولو كانت كافرة، وغيابُه هو سرُّ هلاك الأمم ولو كانت مسلمةً. . قال العلماء: إن الله تبارك وتعالى يَنْصُر الدولةَ العادلةَ ولو كانت كافرةً، ويهلك الدولةَ الظالمةَ ولو كانت مسلمةً. . ! !

عباد الله:

لا أعدل ولا أتم ولا أصدق ولا أوفى من عدل شريعة الله، فعدل الإسلام يسع

الأصدقاء والأعداء، والأقرباء والغرباء، والأقوياء والضعفاء، والمرؤوسين والرؤساء.

أعدل الخلق هو محمد -ﷺ- يُنْصِفُ الناسَ مِن نفسه، قام -ﷺ- قبل وفاته فقال: «**أيها الناس، مَنْ كنتُ أخذتُ منه مالاً بغير حق فهذا مالي فليأخذ منه، ومن كنتُ جلدتُ له ظهرًا بغير حق فهذا ظهري فليجلدْه**»، نعم أراد رسول الله -ﷺ- إن يلقى الله خفيف الظهر من دماء المسلمين خميص البطن من دماءهم كاف اللسان من أعراضهم بأبي وأمي -ﷺ-.

بَيَّن الحقُّ جل وعلا أن الخلافَ ليس مبررًا لظلم المُخالِف. . لمَّا أراد الحبيبُ -ﷺ- وأصحابه أن يعتمروا ويَطُوفوا بالبيت الحرام، ومَنَعَتْهم قريشٌ ظُلمًا وعدوانًا قال لهم ربُّ العزة تبارك وتعالى: ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا**﴾، أي لا يَحملنَّكم هذا الظلمُ على أن تُواجهوا الظلمَ بظلمٍ! ! هؤلاء الذين ظَلَمُوا ومَنَعُوكم من الطَّوَاف حول بيت الله لا تَرُدُّوا ظُلمَهم بظُلمٍ، فقال تبارك وتعالى: ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا**﴾[المائدة: ٢].

أحدُ المنافقين سَرَق متاعًا من أحد بيوت المسلمين، فلمَّا خشِي أن ينكشفَ أمرُه ألقى بالمتاع في بيت أحد اليهود، وضُبِطَ المسروق، وجعل اليهودي يُقسِم ويَحلف أنه ما سرق وما علم، وكادت الأصابعُ تُشير إلى هذا المنافق الذي سَرَق، ولكنَّ أولياءَه وأصحابَه جاءوا إلى النبي -ﷺ- وما زالوا يُكلِّمُونه ويُحدِّثُونه ويقولون: يا رسول الله، هذا رجلٌ مسلمٌ ما عَلِمْنَا عنه إلا خيرًا، كيف تسمع إلى هذا اليهودي؟ !

كيف تجعل المسلم هو الذي سرق وتُبرِّئ ساحة اليهودي؟ ! كيف كذا. . كيف كذا؟ ! وزادوا من إلحاحهم على رسول الله -ﷺ- فإذا بالكتاب العزيز ينزل به أمينُ السماء على أمين الأرض. . يقول رب العزة والجلال: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلا تُجَادِلْ عَنْ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنْ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنْ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنْ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا**﴾[النساء: -١٠٨-١٠٥]، وهكذا بَرَّأ القرآنُ الكريم ساحةَ اليهودي، فكونه يهوديًّا لا يعني أن يظلمه المسلمون. . بهذا العدل قامت السماء والأرض، وبهذا العدل سَادَ الإسلام، وهذا العدل حمل أصحابَ رسول الله- -ﷺ- على أن يُطبِّقُوه حتى مع أبغض الناس إليهم.

لمَّا فَتَح اللهُ خيبرَ على رسول الله -ﷺ- اتفق يهودُ خيبر مع رسول الله -ﷺ- على أن يزرعوا أرضَهم ويُؤدُّوا نصفَ الثمار إلى النبي -ﷺ- واتفقوا على أن يُبقِيَهم النبي -ﷺ-فيقوموا هم بزراعة الأرض ورعاية النخيل، وفي نهاية الموسم يُقسمون الثمار مع النبي- -ﷺ- وأرسل رسولُ الله -ﷺ- إليهم عبدَ الله بن رواحة لِيُقسم بينه وبينهم، فقام عبدُ الله بن رواحة فقسم قسمة العدل التي يَرضى بها الله، وجاءه اليهود فغَمَزُوه وقالوا: يا عبدَ الله هذا لك. . أرادوا أن يرشوه، فقال: «**يا معشر يهود، والله الذي لا إله غيره لأنتم أبغض خلق الله إليَّ، ووالله الذي لا إله غيره، لَرسولُ الله -ﷺ- أحبُّ الناس إليَّ، ولكنِّي لا يحملني والله حُبِّي له وبُغضِي لكم على أن أَحِيفَ عليكم (أي أظلمكم)**»، فقالت اليهود: بهذا قامت السماوات والأرض.

فالعدل هو الحق الذي نزلت به الكتبُ وأُرسلت به الرسل؛ ولهذا كان رسولُ الله- -ﷺ- لا يمنع الناس أن يطلبوا حقوقَهم منه. .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، واشهد أن سيدنا محمد- -ﷺ- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع أخوانه.

وبعد عباد الله:

ليس في الإسلام أن يؤلّه الحاكم حتى يتحول إلى اخطبوط يلتف بأذرعه على جميع مقدرات البلاد ينهب ما يريد، يبطش كما يريد لا معقب لأمره ولا راد ولا مانع أو حتى هامس لتوجيهاته.

هو الدستور والقانون وهو أعلى منهما، وهو الحكومة والشعب والأرض، وهو الذي لا يُسأل عما يفعل والعياذ بالله.

ليس في الإسلام أن تقال في الحاكم قصائد الشرك والكفر والخنوع كما قال ذلك الشاعر:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

حتى سمعنا من يقول للحاكم: يا فلان لولاك لما كان للحياة وجود.

واذكر أني شاهدت لوحةً كبيرة مكتوب فيها: يا فلان الحاكم نحن قبلك عدم وبعدك ندم.

بعد هذا المديح والدجل كيف لا نريد من الحاكم أن يُصدّق نفسه بأنه بطل النصر والإسلام، وانه أتى بما لم تستطعه الأوائل.

العدل والتواصي بالعدل والتواصي بنصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم إذا فعلنا ذلك وتواصينا بذلك حكامًا ومحكومين ورعاة ورعية فإن هذا من أعظم الأسباب لاتقاء شر الفتن واتقاء غضب الجبار ﷻ، فإن الظلم مجلبة لغضب الجبار ﷻ.

و إذا وقع ظلم ثم رفع المظلوم يده يشكو إلى ربه ارتفعت دعوته إلى السماء فتُفتح لها أبواب السماء حتى ترفع إلى الجبار ﷻ ليس بينها وبينه حجاب.

فإن شاء حينئذ ﷻ أمهل الظالم حتى يزيده من العذاب، أمهله إلى أجل حتى يزيده من العذاب، وإن شاء أخذه أخذ عزيز مقتدر فهو سبحانه عزيز ذو انتقام، يمهل الظالم ولا يهمله.

وإذا كثر المظلومون في مجتمع ما ولم يجدوا في ذلك المجتمع من ينصرهم ويؤازرهم ولم يجد الظالمون من يردعهم ويضرب على أيديهم، إذا كان أفراد ذلك المجتمع لا يتواصون بالعدل ونصرة المظلوم فالخوف كل الخوف حينئذ أن ترتفع دعوات عشرات المظلومين أو مئات المظلومين إلى السماوات فيغضب الجبار ﷻ على ذلك المجتمع كله فيهلكه ويدمره ويسلط عليه عدوه فيمحقه.

وقف -ﷺ- في معركة يُسوِّي الصفوف، فوجد أحدَ المسلمين وبطنه كبيرة قد امتدت أمام الصف أو تَقدَّم أمام الصف، وكان في يد النبي -ﷺ- عصا قصيرة فغَمَز

بها في بطنه، وكان اسمه سَوَاد بن غَزِيَّة، فقال له رسول الله -ﷺ-: «**استوِ يا سَوَاد**»، أي تَسَاوَ مع إخوانك في الصف، فقال سواد -رضي الله عنه-: يا رسول الله أوجَعتَنِي فأَقِدْنِي. . (يريد أن يأخذ حقَّه منه)، فقال الحبيب -ﷺ- -بغاية التواضع: «**تَقَدَّمْ فاسْتَقِدْ**»، فقال: يا رسول الله، إن بطني كانت مكشوفة، فكشف رسول الله -ﷺ- بطنَه، والناس في ذهول، فأَكَبَّ سوادٌ على بطن رسول الله -ﷺ- يُقبِّله ويُمرِّغ خَدَّيْهِ، وقال: يا رسول الله، حضر ما ترى من القتال، فخشيتُ أن يكون هذا آخرَ عهدي بك، فأردتُ أن يكون آخر عهدي أن يَمَسَّ جلدي جلدَك. »[ذكر القصة الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/ ١٨١ في ترجمة سواد بن غزية الأنصاري]. الشاهدُ أن رسول الله -ﷺ- يَقْبَل، وهو قائد الأُمَّة والرسول الأعظم، أن يُقْتَصَّ منه، بل إن الناس الذين كانت فيهم جفوةُ البادية وغلظةُ الأعراب كانوا ربما أساءوا إليه -ﷺ- فلا تحملُه إساءتُهم على ظلمهم.

جاء رجل قد اقترض رسول الله -ﷺ- منه بعيرًا إلى أجلٍ، فجاء قبل انقضاء المدة، فقال: يا محمد، أدِّ إليَّ دَيْنِي فإنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطل. . ! ! (أي قوم تُمَاطِلُون)، والصحابة- رضي الله عنهم - حاضرون، وهَمُّوا به سوءًا، وهمَّ به عمرُ بن الخطاب -رضي الله عنه- حين رأى سوءَ أدبه مع رسول الله -ﷺ- فروَّع الرجل، فقال النبي -ﷺ-: «يا **عمر، كنا أحوج إلى غير هذا منك. . أن تأمرني بحسن الأداء، وأن تأمره بحسن الطلب، يا عمر: أدِّ إليه بعيرَه وزِدْهُ عشرين درهمًا جزاء ما روَّعْتَه**»[رواه البخاري]. . ! ! فهذا عدلٌ يقوم به قائدُ الأُمَّة. . لهذا عاش الناس في سعادة.

وهذا هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لمَّا أقام أركان العدل في دولته كان ينام تحت الشجرة بلا حارس ولا رقيب، يَحرُسُه العدلُ، لمَّا عدل ملأ قلوب الناس فلم يَخَفْ من الناس.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

الأمة والعدل«٣»

الحمد لله هدى من شاء من عباده لسلوك سبيل الرشاد، وثبّت الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ويوم المعاد، وأضل الظالمين بعدله، فلهم النار وبئس المهاد، أحمده سبحانه حمداً مقراً بفضله ورحمته على العباد.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، تنزه عن الشركاء والأنداد، وعن الصاحبة والأولاد، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، بعثه ربه رحمة للعباد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ثبتوا على دين الله، وتزودا من التقوى، فنعم الزاد، والتابعين لهم بإحسان إلى التناد، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى وراقبوه؛ فهو القائل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[آل عمران: ١٠٢].

عباد الله:

إن الظلم ظلمات. . يجعل صاحبه في حبسٍ دائمٍ. . لا يسير إلا وحوله حرس مُدجَّج بالسلاح. . لا ينام ولا يصحو إلا وهو مُتخوِّف من المظلوم الذي يُريد أن يَنتقم منه. . الظلم حين يشيع في أُمَّة لا يمكنها أن تَسْتَقِرَّ أو تستريح. قال تعالى: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ*مهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾[إبراهيم: ٤٢-٤٣]، فالله يُعلِن في كتابه العزيز ألاَّ يتصور الظالِمُ أن الله غافلٌ عن هذا الظلم، فإذا

كان الله يمد للظالم في الإمهال فهذا من الاستدراج، لا غفلةً من الله العزيز جل وعلا: ﴿**إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**﴾.

عباد الله: الظلم يُعرِّض صاحبه إلى جزاء أليم في هذه الدنيا، فمهما يَطُل الزمان بالظالم، فإن الله تبارك وتعالى لا بد أن يأخذه على أُمِّ رأسه وأن يُشدِّد في أخذه، كما قال الحبيب -ﷺ-: «**إن الله لَيُمْلِي للظالم- أي يُمهله ويعطي له فرصةً وأكثر، فيظلم ويطول له في حبل الأماني- حتى إذا أخذه لم يُفْلته**»، ثم قرأ قول الله ﷻ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [البخاري ح٤٤٠٩]، ويقول الله ﷻ: ﴿**فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ**﴾[الحج: ٤٥]، بعد أن كانت هذه القرية الظالمة تعيش في بَحبُوحة وفي راحة يجعل الله- تبارك وتعالى- عَالِيَها سَافِلَها.

الظالم يُسلِّط اللهُ تبارك وتعالى عليه جندَه، وينتقم منه في الدنيا ثم في الآخرة، قد يُؤخره، ولكن إياك أن تظن أن تأخير الله غفلةٌ منه (جَلَّ جَلَالُهُ).

لا تَظلمنَّ إذا ما كُنتَ مُقتدِرا ... فالظلمُ تَرجع عُقبَاهُ إلى النَّدَمِ
تَنَامُ عينُك والمظلوم مُنْتَبِهٌ ... يدعو عليك وعَيْنُ اللهِ لم تَنَمِ

أنت تنام بعد أن ظَلَمْتَ منفوخ البطن مُغترًّا بقوتك، والمظلومُ قائمٌ بالليل يُنادي ربه، ويقول: **رَبِّ إني مظلوم فانتصر**. . تَخرُج الدعوة من فَمِ المظلوم، فلا يمنعها من الله شيء، وتُفْتَح لها أبواب السماء. . إن دعوة المظلوم تُفْتَح لها أبواب السماء، ولا يَقف لها حجابٌ، ويقول رب العزة جل وعلا: «**وعزتي وجلالي لأنصرنَّكِ ولو بعد**

حين»[أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٥)]، وَعْدٌ من الله أن ينصر المظلوم ولو بعد حين! !

حين يفرح الظالم بظلمه ويَستعلي بجبروته، يقول الله ﷻ: ﴿**حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[الأنعام: ٤٤ -٤٥].

العدل هو الذي يجعل الحياة في راحة، والظلم هو الذي يجعل الحياة قلقةً مُضطربةً. . العدل ليس فقط عدلاً في القضاء بل هو عدلٌ في كل الأحوال، فالله- جل وعلا- يدعونا أنا وأنت وكلَّ مسلم، يقول جل وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ**﴾[النساء: ١٣٥]، فلو كنتَ تشهد على نفسك أو على والديك أو على أقاربك لا بد أن تقول الحق ﴿**إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**[النساء: ١٣٥]يُحذِّرُنا الله تبارك وتعالى أن نُغالِط أو نُجَامِل الظالم ولو كان هذا الظالم أبانا أو أخانا أو قريبنا، فضلاً عما سوى ذلك.

إنَّ أشدَّ الناس حُمقًا مَنْ يجامل الظالم في ظُلمه؛ لأنه لم يَسْتَفِدْ شيئًا بهذه المُجاملة، وإنما بَاعَ آخرتَه لِيكسب غيره دنياه، **أشد الناس حمقًا من باع آخرته بدنيا غيره**، باع آخرته ليكسب غيره، حينما لا يقول كلمة الحق. . الظلم جرثومةٌ متى فشت في أُمَّةٍ أهلكها الله ﷻ.

عباد الله:

اعلموا أن أعظم صُور الظلم وأشدها وَبَالاً ظُلم الحاكم لِرعيته، وظلم الوالي

أهلَ ولايته؛ لأن الناس إنما ينصِّبون الأئمة والرؤساء لِيُحقِّقُوا العدل فيما بينهم. . الناس يختارون رؤساءهم لكي يأخذوا للضعيف حقه من القوي، وللمظلوم حقه من الظالم، فإذا صار الحاكمُ هو الظالِمَ فقُلْ على الدنيا السلام. . إذا صار الذي من واجبه أن يُرسِيَ دعائمَ العدل هو الذي يُقَوِّض العدلَ ويُقيم الظلمَ فقُلْ على الدنيا السلام؛ ولهذا كان أعظم الناس عند الله درجةً وأول الواقفين في ظل عرش الله يوم القيامة: «**الإمام العادل**». نسال الله أن يهدي ولاة أمرنا إلى ما فيه خير البلاد والعباد.

عباد الله:

الحاكم العادل هو أول من يُنادَى يوم القيامة ليقف في ظلِّ عرش الله؛ لأن الحاكم إذا عدل وأرسى دعائم العدل استقرَّتْ أمورُ الناس، وعاش الناسُ في راحة، فأما إذا جار وظلم فإنه يُشجِّع الناسَ على الظلم.

معاوية -رضي الله عنه- كان قائمًا على المنبر يخطب، فقام أحد المسلمين من التابعين- وكان اسمه أبو مُسلم الخَوْلاني[1] - فقال: يا معاوية، قال: نعم. قال: يا معاوية، إنما أنت قبرٌ من القبور «أي غايتك في النهاية أنك ستصير في قبر ولن تخلد في هذه الدنيا»، إن جئتَ بشيءٍ كان لك شيءٌ، وإن لم تجئ بشيءٍ لم يكن لك شيءٌ، يا معاوية: لا تحسبنَّ الخلافة جمعَ المال وتفريقَه، إنما الخلافةُ: القولُ بالحق والعملُ بالْمَعْدَلة، يا معاوية: إنا لا نُبَالِي بكدَر الأنهار ما صَفَتْ لنا رأسُ عيننا، وأنت

(١)أَبُو مُسْلِم الخَوْلاني(٠٠٠ - ٦٢ هـ = ٠٠٠ - ٦٨٢ م)
عبد الله بن ثوب (بضم ففتح) الخولانيّ: تابعيّ، فقيه عابد زاهد، نعمة الذهبي بريحانة الشام.أصله من اليمن. أدرك الجاهلية، وأسلم قبل وفاة النبي صلّى الله عليه وسلم ولم يره، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر، وهاجر إلى الشام، وفي أكثر المصادر: وفاته بدمشق، وقبره بداريّا. وكان يقال: أبو مسلم حكيم هذه الأمة.

رأسُ عيننا. . . يقول: أنت المسئول عن هذه الأمة. . أنت الذي لو أقمتَ العدل أقام من حولك العدل، ولو كان فيهم فاجر أو فاسد، فإن عدلك سيمحو ظلمه وسيكشف أمره ويبعده، لكن إذا كان الظلم منك أنت فلا ينفع عدل من دونك، بل سيتحولون بعد ذلك إلى ظلمة).

إذا كان ربُّ البيت بالدُّفِّ ضاربًا شِيمَةُ أهل البيت كلهم الرَّقْص

يقول له هذا الرجل الصالح: يا معا وية: إنا لا نُبَالِي بكَدَرِ الأنهار ما صَفَتْ لنا رأسُ عيننا، وأنت رأسُ عيننا، يا معاوية: إياك أن تَحِيفَ على قبيلة من القبائل فيذهب حَيْفُك بعدلك (أي يذهب الظلم بالعدل) والسلام.

فقال معاوية -رضي الله عنه-: يرحمك الله (قَبِل النصيحة مع أنها قُدِّمَت له في محضر من الملأ. . قَبِل النصيحة لأنه يعلم أن الاستقرار في أُمَّةِ محمد بالعمل بهذه النصيحة)، وهكذا كان الصالحون وكان الناصحون.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، واشهد أن سيدنا محمد -ﷺ- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع اخوانه.

وبعد عباد الله:

ومن الظلم شيوع المحسوبية والوساطة والرشاوى حينما يُوضَع الإنسان في غير مكانه لأنه قريب من فلان، حين تُبْعَد الكفاءات من أماكنها ويُوَسَّد الأمرُ لغير أهله لأن هذه الكفاءات ليست على هوى فلان، وليست على رغبة فلان، حين تنعدم الشورى ويضيع الحق، ولا يكون الرجل المُناسب في المكان المناسب، ، حينما يشيع هذا الجو؛ فهذا من أعظم الظلم، يقول الحبيب -ﷺ-: «**من ولَّى على المسلمين رجلاً وفيهم مَن هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين**»[أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٩٢) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".] ، فحين يكون بإمكانِك أو من سلطاتِك توظيفُ شخصٍ ما أو أشخاصٍ ما، فتُوظِّف مَنْ تهواه نفسُك أو يَمِيل إليه قلبُك أو مَنْ يدفع لك الرشوةَ على حساب الحق فقد خُنْتَ اللهَ ورسولَه والمؤمنين، والأُمَّةُ إذا شاع فيها هذا الجو فإنها تعيش في حالة من الحقد والحسد.

حين نرى هذه المظالم، حين نرى شَابًا كُفئًا يُبعَد عن موضعه اللائق به ويتقدَّم غيرُه ممن استطاع أن يُجامِل أو يرشو أو كان حسيبًا أو نَسِيبًا، فإن هذا من أنواع المظالم التي تُدمِّر الأمم. . الرشوة يقول فيها تبارك وتعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ**

بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٨٨]، ويقصد القرآن بالحكام كلَّ من كان قادرًا ويأخذ رشوةً لِيُبْعِد إنسانًا عن موضعه، أو يُعطيَ إنسانًا غير حقه.

ومن الظلم عباد الله أخذ الناس بالشبهة ومعاملة الناس على سوء الظن، كان المنافقون يُسيئون إلى النبي -ﷺ- بالليل والنهار، وكان يعرفهم -ﷺ- بأسمائهم، وربما عرَّف بعضَ أصحابه بعضَ الأسماء، ومع ذلك لم نسمع بأن النبي -ﷺ- عاقب واحدًا منهم على شيءٍ، فالأصل عنده أن الإنسان بريءٌ ما لم ينطق ويَتلفَّظ ويسمعه الناس، فأَخْذُ الناس بالشبهة ظلمٌ مُبينٌ وإثمٌ كبيرٌ، وإفكٌ يرى صاحبُه عاقبةَ أمره عند الله خُسرانًا مبينًا؛ وكم ظُلم أُناس، وحُبس أُناس، واعتقل أناس والسبب بلاغات كاذبة وتقارير مغلوطة ولهذا كان الحبيب -ﷺ- يقول: «**ادرءوا الحدودَ بالشبهات**»[ضعفه الألباني، كما في ضعيف الجامع، رقم (٢٥٨)]، ويقول: «**ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فمن وجدتم له مخرجًا فخَلُّوا سبيله**». . هذا هو العدل. . العدل ألا يُؤخَذَ إنسانٌ بشبهةٍ ما دام لم يرتكب ما يُوجِب العقوبة، ولا يجوز سَوْقُ الناس إلى التعذيب تحت وطأة الشبهات، بزعم أن هذا هو السبيل لكشف الحق. . فهذا باطل.

ومن الظلم عباد الله التَّنَصُّت على الناس لِتَسمُّع ما يقولون، الذي يتنصَّت على عباد الله ليسمع ما يقولون في مجالسهم وفي سِرِّهم، يوم القيامة يُوضَع في أُذنيه الرصاص المغلي المُذَاب في النار، يقول رسول الله -ﷺ-: «**مَن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون- أو وهم يَفِرُّون منه- صُبَّ في أُذنَيْه الآنُك يوم القيامة**»[رواه

البخاري]، والآنك: هو الرصاص المُذَاب من شدة الحرارة، هذا الرصاص يُوضَع في أُذنَيْ مَن يتنصَّت على الناس.

سيدنا عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- كان قاضيًا على الكوفة، وجاءه رجل فقال: هذا فلانٌ تَقْطُر لحيتُه خمرًا، (أي أن فلان هذا يشرب الخمر)، فقال -رضي الله عنه-: إنا قد نُهِينا عن التجسس، ولكن إنْ يظهرْ لنا شيءٌ نأخذْ به (أي لا نأخذ الناس بالشبهة). . بل إن سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مَرَّ يومًا في سكك المدينة فسمع صوت غناء- ومعه عبد الرحمن بن عوف- فقال: يا عبد الرحمن، أتدرى بيتُ من هذا؟ ! قال: لا. . قال: هو بيت فلان، وهم الآن شُرب (أي أنهم يشربون الخمور)، فما ترى؟ ! قال: يا أمير المؤمنين، أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلا تَجَسَّسُوا**﴾، ونحن الآن نتجسس. فانصرف عمر -رضي الله عنه- (بالرغم من علمه، لكن لا يأخذ بالشبهة).

ألوان الظلم كثيرة وفاشية في المجتمعات، ولا سبيل إلى نجاة الأمم إلا بمحاربة هذا الظلم ومنع هذا الظلم.

أيها الأحبة الكرام. . العدل فريضة. . أمر اللهُ بها بين الناس. . لا بين المسلمين فحسب. . بل بين الناس ككل، فحينما جاء اليهود يحتكمون إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[المائدة: ٤٢]، حتى مع اليهود، ويقول الحبيب -صلى الله عليه وسلم-: «**إن المُقسطِين على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم**

وأهليهم وما وُلُّوا»[رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل (١٢/ ٢١١) بشرح النووي، عن ابن عمرو.]، أي هم الذين يعدلون في أحكامهم، سواءٌ كانوا حكامًا أو قضاةً أو أمراءَ أو رؤساءَ مصالح، أو آباءَ في البيوت. . كل هذه ولايات. . بل إن العدل بين الأولاد أمر الله به، فقد جاء رجل اسمه بشير بن ثعلبة إلى النبي -ﷺ- يُشْهِده على أنه أعطَى ولدَه النُّعمان حديقةً، فقال: «يا بشير، أعطيتَ سائرَ ولدك مثلَ ما أعطيتَه؟ »، قال: لا. . قال: «**أَتُحِبُّ أن يكونوا في البِرِّ لك سواءً**»؟ ! قال: نعم. قال: «**فاعدل بينهم**»، وقال -ﷺ-: «**إني لا أشهد على جور**». . (أي أنه -ﷺ- لا يشهد على ظلم) وقال: «ساووا بين أولادكم في العَطِيَّة».

يُريد الإسلام أن يتحقَّق العدلُ على كل المستويات، على مستوى الأسرة في البيت، وعلى مستوى الإدارة والمصلحة، وعلى مستوى المدينة، وعلى مستوى المحافظة، وعلى مستوى الدولة، وعلى مستوى الخلافة، لا بد أن يكون كل إنسان في موقعه عادلاً، وبهذا تستقر أمور الناس.

ما واجب الأمة في مواجهة الظلم؟

على الأُمَّة واجبٌ في مواجهة هذا الظلم؛ فلا يكفي أن نعرف الظلم وتسكت، أو أن نجلس فنتلاوم على الظلم الحاصل، بل لا بد أن يكون لكل منا دورٌ في تحقيق العدالة وفي تحقيق المساواة بين الناس، يقول -ﷺ-: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك اللهُ أن يَعُمَّهم بعقابٍ من عنده**»[أخرجه أبو داود والترمذي]، إن من حق الراعي على رعيته أن ينصحوه، وإذا مال وانحرف أن يُقوِّمُوه. . قام أبو بكر -رضي الله عنه- حين تولَّى الخلافة وقال: أيها الناس: القويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخُذَ الحقَّ منه، والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى آخُذَ الحقَّ له، وقام عمر -رضي الله عنه-

فقال: «**أيها الناس: لو رأيتُم فيَّ اعوجاجًا فقوِّمُونِي**»، فقال رجل: لو رأينا فيك اعوجاجًا لَقوّمناك بحدِّ السَّيْفِ.

الأُمَّة حينما تقوم بواجبها فلا يستطيع الظالم أن يسير إلى النهاية. . ضرب اللهُ لنا مثلاً بأكبر الظلَمة على وجه الأرض، كيف ظلم، وهو فرعون، كيف ظلم؟ ! قال: ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ**﴾[الزخرف: ٥٤]، أي ظَلَمَهم فاستكانوا له، وتَجَبَّر عليهم فركعوا تحت قدميه، قال لهم: أنا رَبُّكم، فعبدوه من دون الله، والله جل وعلا حين وصف فرعون بالظلم لم يصفه وحدَه، إنما وصفه وكلَّ مَنْ ساعده، فقال: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**﴾[القصص: ٨]، فلا بد للأُمَّة إذا رأت الظالم أن تَنصحه، على أي مستوى، المدير في المدرسة، الأب في المنزل. . أيّ مستوى من مستويات القيادة في الأمة، يجب أن يُنْصَح لِيُقام العدلُ بين الناس، وهذا واجبُ الأمة حتى تنهض. . لم نَرَ في تاريخ البشرية ظالمًا رجع عن ظلمه؛ لأنَّ قلبَه رَقَّ للمظلوم. . لم يحدث هذا. . إنما تأخذ الأمم حقوقَها بقوة النصيحة، بقوة العمل:

وما نَيْلُ المطالب بالتَّمَنِّي ولكن تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلابَا

حين تَسكتُ الأمةُ كلُّها سيعمُّها الظلمُ، ويُهلكها اللهُ جل وعلا، وحين تَنْشَط الأمةُ وتنهضُ لمحاربة الظلم في كل أشكاله وأصنافه. . حين تمتنع عن دفع الرشوة. . حين تقول كلمةَ الحق ولو على نفسك. . حين تدعو الناس إلى العدل ولو كان في ذلك مَضرَّةٌ عليك. . حين يكون هذا فإن الله تبارك وتعالى يملأ الدنيا سعادةً، ويملأ الحياةَ استقرارًا ورخاءً.

أسألُ الله العلى العظيم أن يُقيم فينا العدل وأن يرفع عنا وعن أمتنا الظلم والضَّيْم.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

❁ ❁ ❁

الخيانة «١»

الحمد لله، أحاط بكل شيء علماً، ووسع كل شيء رحمةً وعلماً، أحمده سبحانه على كل حال، وأعوذ بالله من حال أهل الفسق والضلال.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أزكى البرية وأتقاها، صلى الله عليه وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله، واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله، فيجازى كُلاً بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثال ذرة شراً يره.

عباد الله: حديثنا في هذه الدقائق المباركة عن آفةٍ خطيرة، ومعصيةٍ عظيمة، وجريمةٍ كبيرة.

هذه الآفة والمعصية هي أصل كل مصيبة وقعت وتقع في أُمتنا الإسلامية.

استطاع أعداء الإسلام عبر هذه الآفة زعزعة المسلمين وإبعادهم عن دينهم.

هذه الجريمة بسببها بيعت البلاد لغير أهلها، واحتل المحتل بلاد المسلمين.

خصلة إن وجدت بين الناس فقل على الدنيا السلام.

إنها آفة الخيانة.

فلا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لم لا عهد له، هكذا كان يردد النبي المصطفى في كثيرٍ من خطبه.

بسببها تكبّدت الأمة الخسائر، دخلت في حروب، بل واُسقطت دول، وفقدت الأمة خير رجالاتها وفرسانها، بل وعلمائها ودعاتها، واعلموا أنه لا يسقط عظيم من العظماء إلا بالخيانة.

والخيانة هي التفريط فيما يؤتمن الإنسان عليه، وهي كبيرة من الكبائر سواءً كان مال، أو عرض أو دين، أو علم، أو ولد ،وهي كبيرة من الكبائر. اللهم إنا نعوذ بك من الخيانة.

أيها المسلمون: نتكلم معكم عن الخيانة و أمتنا الإسلامية تمرُّ في هذا الزمان بمحَنٍ عظيمة ونوازلَ شديدة ونكَبات متلاحقة، ساهم فيها بشدة تعرّض الأمة لخيانات متعددة، تارة من أعدائها، وتارات ـ وهو أنكى ـ من أبنائها.

يُخادعني العدو فلا أبالي...وأبكي حين يخدعني الصديق.

أقسى شيءٍ أنْ تُطعَن الأمَّةُ من رجالها وأبناءِ جِلدتها، فما أشدَّها من طعنةٍ، وما أبشَعَها من نكسةٍ، وما أقساها من محنةٍ! إنها الخيانة القبيحة التي لعنَتْها كلُّ الشرائع

السماويَّة والقوانين الأرضيَّة، وكفى بالخائن إثمًا أنَّه ابتاعَ دُنياه بسُوء السِّيرة، وآخِرته بغَضَبِ الرحمن.

نعم، كل الخيانة قاسية ومريرة ، لكن الأقسى أن يخونك من تتوقع منه العون.

إن **الخيانة** رأس كل خطيئة وعنوان كل جريمة مهما دقت أو جلت، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء:١٠٥]

الخيانة قَبيحة في كلِّ شيء، وبعضها شرٌّ من بعض، وليس مَن خانك في فَلْسٍ كمَن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائمَ.

ولهذا كانت الأمانة ثقيلة ثقيلة قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢]

أهل الخيانة بعيدون عن حب الله، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾[الأنفال: ٥٨]،أهل الخيانة بعيدون عن هداية الله قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[يوسف: ٥٢]، وجمع الله جل وعلا بين الخيانة والكفر في قوله جلّ وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[الحج: ٣٨].

والرسول الكريم -ﷺ- كان يحذّر منها بقوله: « **لا تخن من خانك** » [رواه أبو داود]، ويستعيذ بالله منها في دعائه ويقول: « **اللهم اني أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع، . . . وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**. . . "[رواه النسائي].

والخيانة أيها الأحباب: ركنٌ من أركان النفاق ربعه أو ثلثه، فهي سمةٌ من سمات

النفاق، ، فالخائن منافق، وإلا فكيف سيُخفي خيانته إلا بالنفاق؟ ! قال النبي -ﷺ- : «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»[متفق عليه].

وفي رواية أخرى: « **أربعٌ من كن كان منافقا خالصا**، وذكر منها : **وإذا ائتمن خان**»[متفق عليه].

وأشد الناس فضيحة يوم القيامة هم الخائنون لقوله - -ﷺ-: «**لكل غادر لواء يوم القيامة يقال: هذه غَدْرَة فلان**»[متفق عليه].

والغدرة هي الاختلاس من أموال الأمة من المال العام الذي اؤتمنت عليه، والغدر حرام في كل عهد بين المسلم وغيره، ولو كان المعاهد كافرا.

الخائنَ عباد الله وإن اندسّ بين الناسَ وإن عرف كيف يرتّب أموره بحيث لا يُفتضح أمام عباد الله فأين يذهب يوم القيامة؟ !

بالخيانة أُسقطت دولة الخلافة الإسلامية، وكانت رمزًا تجمع شتات المسلمين، فتمزقت أوطان المسلمين إلى بلدان وأقاليم، وأقام أعداؤنا في كلّ موطن وإقليم سلطانًا مواليًا لنفوذهم إلا من رحم الله، ينفذ سياستهم بالترغيب والترهيب والحماية، بالخيانة عمدوا إلى مناهج التعليم والتربية فصبغوها بصبغتهم في الضياع والانحلال.

وبالخيانة تم غزونا فكريًا، فلم يستطع الغرب أبدًا أن يغزونا عسكريا إلا بعد أن هُزمنا فكريا، لكن تكفّل بالمهمة الخونة من أبناء جلدتنا.

بسلاح الغدر والخيانة ذلك السلاح الذي تجرّعت الأمة وتتجرع بسببه المرارات، وعن طريقه فقدت الأمة أعظم قادتها وخلفائها ممن أعجَزَ الأعداء على مر التاريخ، فالرسول سَمَّته يهود، وعمر قتله أبو لؤلؤة المجوسي، وعثمان قتلته يد الغدر، وعلي والحسين وغيرهم رضوان الله عليهم من العظماء عبر التاريخ.

أيها المسلمون:

قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال: ٢٧]

تأملوا جيدا ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ لم يقل: يا أيها الناس، يا أيها الذين كفروا، إنما يا أيها الذين امنوا ،إنها رسالة أن من المؤمنين خونة.

لا تخونوا الله، هذه واحدة، والرسول هذه ثانية وتخونوا أماناتكم هذه ثالثة.

فخيانة الله: هي الإخلال بحقوقه، فعدم تحقيق لا إله إلا الله في النفس خيانة لله، عبادة غير الله خيانة لله، تعطيل فرائض الله، أو تعدي حدوده أو انتهاك محارمه، كلها خيانة لله، عدم تحكيم شرع الله ً يعتبر خيانة لله.

واذا خنت الله خانك كل شيء. من خان الله وضيع فرائض الله فلا تأمنه فانه خان أول منعم عليه، وهو الله.

أما خيانة الرسول: فتقديم قول فلان أو الولي فلان على قوله، تُعتبر خيانة للرسول. وترك سنته مع علمنا بها خيانة للرسول.

الطعن في السنة إما رواية أو دراية. خيانة لرسول الله.

الطعن في حمَلة السنة سواءً كانوا الصحابة أو من أتى بعدهم من حمَلة الشريعة

للناس خيانة للرسول.

الطعن في زوجاته و آل بيته الطاهرين ومحاربتهم خيانة للرسول.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ** ﴾ [الأنفال: ٢٧] هذه الآية نزلت في أبو لبابة بن عبد المنذر حين أراد النبي -ﷺ- الحكم في يهود بني قريضة بعد أن تعاونوا مع كفار قريش، فقال بنو قريضة: ابعث الينا أبا لبابة نستشيره وكان حليفهم، فأرسله رسول الله اليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وأجهش النساء، والصبيان يبكون، فرقّ لهم، وقالوا :يا أبا لبابة هل ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم وأشار بيده إلى حلقه، يعني أنه الذبح، وهذا كان سرا كشفه لهم. قال أبو لبابة:" **فو الله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني خنت الله ورسوله**"، وعاد إلى المدينة وربط نفسه في سارية من سواري المسجد النبوي وكانت من جذوع النخل وقال:" **لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي فيما صنعت**"، فلما علم رسول الله قال:« **لو جاءني لاستغفرت له واذ قد فعل هذا فلن اطلقه حتى يقضي الله فيه ما يشاء**» ، وأقام على هذه الحال ست ليال تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحله حتى يتوضأ ويصلي، ثم يُربط في الجذع قال أبو لبابة: "فكنت في أمر عظيم، في حرّ شديد عدة ليال لا آكل فيهن شيئا ولا أشرب وقلت لا أزال هكذا حتى أُفارق الدنيا أو يتوب الله علي".

كان أبو لبابة يستطيع أن يخفي ما فعله عن النبي ـ -ﷺ- ـ حيث لم يطلع عليه أحد من المسلمين، وأن يستكتم اليهود أمره، ولكنه تذكر رقابة الله عليه، وعلمه بما يسر ويعلن، وتذكر حق رسول الله - -ﷺ- – عليه، وهو الذي ائتمنه على ذلك السر، ففزع لهذه الزلة فزعا عظيما، وأقر بذنبه واعترف به، وبادر إلى الصدق والتوبة فكانت

نجاته، فنزلت توبته على رسول الله في السحر وهو في بيت أم سلمة قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة:١٠٢].

فثار الناس ليطلقوه فقال:" لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده"، فلما خرج رسول الله- -ﷺ- لصلاة الصبح أطلقه .

أما الثالثة: وتخونوا أماناتكم. إنها أمانات، وليست أمانة واحدة فالصَّلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزنُ أمانة، والكَيل أمانة، ، وأشد ذلك الودائع .

فليحذر الموظف من خيانة الأمانة، بتعاطي الرشوة، أو إتعاب أصحاب المعاملات وتأخيرهم بقصد التسلط فإنها خيانة للأمانة. وليحذر أصحاب المناصب والمراكز من التخوض في المال العام دون وجه شرعي، فإنها خيانة للأمانة. وليحذر كلٌ من الزوج والزوجة، من علاقة محرمة، فإنها خيانة للأمانة. وليحذر كل راعٍ مسؤول عن رعيته من خيانة ما استؤمن عليه.

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**،

اللهم إنا نعوذ بك من الخيانة اللهم اجعلنا من أهل الأمانة.

عباد الله: نستطيع أن نقسّم الخيانة إلى ثلاثة أقسام:

الأول: خيانة على المستوى العالمي.

الثاني: خيانة على مستوى الأمة.

الثالث: خيانة على مستوى الأفراد.

أما الخيانة على المستوى العالمي فإنها الخيانة التي فاح عفنها ونتنها في كل البقاع والأصقاع، إنها خيانة عالمية، خيانة يخطط لها في البيت الأبيض، وفي البيت الأحمر في الكرملن، مروراً بمنظمة هيئة الأمم المتحدة، ومروراً بحلف الأطلسي، ومروراً بالنظام والاتحاد الأوروبي، كل هذه الهيئات وكل هذه المنظمات وكل هذه الأحلاف الدولية تؤصل الآن للخيانة تأصيلاً، إنها خيانة الشعوب المسلمة المستضعفة، في فلسطين وكشمير، وتركستان ، وغيرها .

هذه الخيانة العفنة النتنة التي تمارس على خشبة المسرح العالمي؟ لقد جلس النظام الغربي على مقاعد هذا المسرح العالمي ليصفق بقوة وحرارة وجدارة للجندي اليهودي، والصليبي الجبان الغشوم الظالم، وقف النظام الغربي الخائن كله ليصفق لهؤلاء المجرمين، بل ليمنحهم السلاح لا من وراء ستار، بل على مرأى ومسمع من العالم كله،

ماذا تنتظر الأمة؟ ! وأي شيء تنتظر هذه الأمة؟ ! إنه عالم لا يعرف إلا الخيانة، وعالم لا يقر إلا لغة الحرب ولغة الرصاص؛ فأين المسلمين ونخوتهم وحميتهم في الدفاع عن إخوانهم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله مولي النعم، ودافع النقم، وخالق الخلق من عدم، أحمده سبحانه، وهو للحمد أهل، وأشكره وقد تأذن بالزيادة لمن شكر.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وبعد:

ثالثاً: خيانة على مستوى الأمة: أقول بملء الفم وبأعلى الصوت: ما خان الغربي إلا يوم أن تخلت أمة الأمانة عن الأمانة، وما تولى الرجل الغربي قيادة العالم وقيادة الأمة إلا يوم أن وقعت الأمة في الخيانة؛ فلقد خانت الأمة ربها ورسولها، وأنا أعي كل لفظة أرددها، لقد خانت الأمة ربها ورسولها، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**لا تخونوا الله بترك فرائضه، ولا تخونوا الرسول بترك سنته، ولا تخونوا أماناتكم بتضييعها**».

خانت الأمة ربها ونبيها، وضيعت الأمانة يوم أن وسدت الأمر إلى غير أهله، وهذا هو تفسير نبينا لتضييع الأمانة كما في صحيح البخاري أنه كان -ﷺ- يحدث الناس يوماً، فجاء أعرابي فقال: « يا رسول الله! متى الساعة؟ فمضى النبي -ﷺ- في حديثه ولم يجب الأعرابي، فلما قضى النبي حديثه سأل عن الأعرابي وقال: أين السائل عن الساعة آنفاً؟ فقال الأعرابي: ها أنا يا رسول الله! فقال النبي -ﷺ-: «**إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة**»، فقال الأعرابي الفقيه: فكيف إضاعتها يا رسول الله؟ ! قال: **إذا وسد الأمر إلى غير أهله** » [رواه البخارى].

ووالله! لقد وسد الأمر إلى غير أهله، إلا من رحم الله، لقد صرنا كما قال الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها الذئاب

وفي مستدرك الحاكم ومسند أحمد بسند صحيح من حديث أبي هريرة أن النبي -ﷺ- قال: «**سيأتي على الناس سنوات خداعة؛ يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: ومن الرويبضة يا رسول الله؟ ! قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة**».

لقد صار المثل الأعلى لأولادنا لاعب كرة، أو فناناً من الفنانين، صار المثل الأعلى لكثير من أولادنا هم هؤلاء، وقدم هؤلاء على أنهم المثل، وعلى أنهم القدوات، حتى لا يخرج الولد ليفكر في الجهاد أو ليفكر في العلم، ووسّد الأمر إلى غير أهله، فمن الذي تصفق لهم الجماهير المخدوعة؟ ! ومن الذي تذلل لهم الصعاب، وتيسر لهم الأسباب، وتفتح لهم جميع الأبواب؟ ! هذا، وكثير منهم يجب أن يقام عليه حد الله (ﷻ)، ولكن الأمة الآن قلبت الموازين، ووسدت الأمر إلى غير أهله، ووقعت في الخيانة.

وأخيراً: خيانة على مستوى الأفراد فالكلمة أمانة، والعلم أمانة، فإن اتقى العالم ربه وأدى ما يدين به لله بحكمة بالغة فهو أمين، وإن زور بهذا العلم الفتاوى لذوي السلطان فهو خائن، قال -ﷺ-: « **من سُئل عن علمٍ يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نار، ومن تعلم العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو**

ليصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار »[أخرجه أحمد وصححه الألباني في تعليقه على المشكاة (٢٢٣)].

والمجالس أمانة، فقد يجلس المسلم مع أخيه ويخرج بعد ذلك لينقل كل ما دار بينهما في المجلس، من فعل هذا فهو خائن؛ إنما المجالس بالأمانة، فكم من الناس من قد خان هذه الأمانة! وكم من زوج قد خان زوجته! وكم من زوجة قد خانت زوجها! وأقصد: الخيانة العفنة المعروفة بالزنا، وكذلك خيانة الكلمة، فإن النبي -ﷺ- يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد -رضي الله عنه-: « **إن من أشر الناس يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها** »، لاسيما إذا كان السر متعلقاً بأسرار الفراش، فيجلس على المقهى أو بين زملائه في الوظيفة ليحدث بكل ما دار بينه وبين امرأته في الفراش، أو تجلس المرأة لتحدث زميلاتها وجيرانها بما دار بينها وبين زوجها في الفراش، وهذه خيانة عفنة.

والأولاد أمانة، فكم من الآباء من قد خان هذه الأمانة! وكم أم قد ضيّعت هذه الأمانة! فترك الوالد أولاده، وظن أن وظيفته أنه ممثل لوزارة المالية فحسب! فإن وجد عنده رمق من الوقت قتله قتلاً بالجلوس أمام التلفاز، مع أنه لو جلس بين أولاده ولو كان صامتاً لا يتكلم ففي جلوسه من عمق التربية ما فيه، فكيف إن تكلم فذكّر بالله ورسوله؟ ! وكيف إن تكلم فأخذ أولاده إلى بيت من بيوت الله، أو إلى مشهد من هذه المشاهد التي تملأ القلب بالاستعلاء وبالإيمان وبالعزة التي افتقدتها الأمة منذ أمد بعيد؟ ! وكم من أم خانت الأمانة فضيعت أولادها؛ وذهبت إلى الوظيفة، وهي ليست في حاجة إلى الوظيفة، وخرجت إلى الأسواق لتضيع الوقت،

وهي ليست في حاجة إلى هذا، كل همها أن تبحث عن الموضات والموديلات! وضيعت الأولاد، والوظيفة أمانة، فكم من الموظفين من قد خان الأمانة بدعوى أن الراتب لا يتلاءم ولا يتواءم مع الجهد الذي يبذله! فيخون الأمانة بأخذ الرشاوى، أو بتضييع العمل مع حاجة العمل إليه، أو بالتعسير على المسلمين وتعطيل مصالحهم.

والدَين أمانة، فكم من الناس من قد أخذ أموالاً ثم تفنن بعد ذلك في أكل هذه الأموال، وفي خيانة هذه الأمانة، والنبي -ﷺ- يقول: « **من أخذ أموال الناس ينوي أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله** »[رواه البخاري].

وكم عدد هؤلاء الذين نهبوا البنوك بل ونهبوا الدولة، بل ونهبوا الأمة، وخانوا الأمانة، وأكلوا أموال الناس بالباطل! ولو وقفنا مع جزئيات الخيانة على مستوى الأفراد لطال الوقت جداً.

اللهم اجعلنا من أهل الأمانة، اللهم اجعلنا أهلاً للأمانة، اللهم رد الأمة إلى الأمانة رداً جميلاً، اللهم رد الأمة إلى الأمانة رداً جميلاً.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

الخيانة «٢»

الحمد لله منّ علينا بكثير النعم، ودفع عنا النقم، وجعل أمة محمد خير الأمم.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك، أطعمنا من جوع وسقانا من ظمأ وخلقنا من عدم، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله المصطفى على سائر الأمم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أولوا المكارم والشيم، والتابعين لهم بإحسان، اللهم لك اسلمنا وبك أمنا وعليك توكلنا فاغفر لنا ما قدمنا، وما أخرنا وما أسررنا وما اعلنا، اللهم انصرنا على من ظلمنا ، وعافنا واعف عنا .

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله، فمن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.

عباد الله:

هذا هو اللقاء الثاني مع الآفة الخطيرة، والمعصية العظيمة مع الخيانة، عشنا معها في الجمعة الماضية وعلمنا وأيقنا أنه لا صلاح لأمة استشرت فيها الخيانة، ولا بقاء لمجتمع انعدمت فيه الأمانة، ولا كرامة لأناس صارت الخيانة من أعمالهم وسلوكهم، بالله عليكم هل يمكن لخونة أن يصلحوا وضعاً، أو أن يقيموا أساساً، أو أن يشيدوا حضارةً وعمراناً لا يمكن أبداً، والخائن أحقر من القاتل لأن القاتل يقتل نفسا، والخائن يقتل أمة. الخائن يكيد في الليل والنهار والله لا يهدي كيد الخائنين.

إن الأمانة ـ إخوة الإيمان ـ فضيلة ضخمة، لا يستطيع حملها المهازيل.

قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: « **القتلُ في سبيلِ اللهِ يُكفِّرُ الذُّنوبَ كلَّها إلَّا الأمانةَ قال : يُؤتَى العبدُ يومَ القيامةِ ، وإن قُتِل في سبيلِ اللهِ ، فيُقالُ : أدِّ أمانتَك ، فيقولُ : أيْ ربِّ كيف ، وقد ذهبت الدُّنيا ، فيُقالُ : انطلِقوا به إلى الهاويةِ ، فيُنطلَقُ به إلى الهاويةِ ، وتمثُلُ له أمانتُه كهيئتِها يومَ دُفِعت إليه ، فيراها فيعرِفُها ، فيهوي في أثرِها حتَّى يُدرِكَها ، فيحمِلُها على منكِبَيْه حتَّى إذا ظنَّ أنَّه خارجٌ زلت عن منكِبَيْه ، فهو يهوي في أثرِها أبدَ الآبدين...** »[رواه البيهقي مرة موقوفًا على ابن مسعود وأخرى مرفوعًا وحسنه الألباني].

و جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عند مسلم أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- «**أن الأمانة والرحم تقومان على جنبتي الصراط، يمينا وشمالا** » .

تقف الأمانة على الصراط، فتُكَبْكِب في نار جهنم كلَّ من خانها، وأما الرحم فإنها تُزِلّ قدم من قطعها وظلمها.

فيا من في أعناقكم أمانات، وكلنا كذلك، وكل بحسبه، أدِّ الأمانة، وإياك من الخيانة قبل أن تزل قدمٌ بعد ثبوتها في موطن تكون الزلة تحتها قعر جهنم.

عباد الله

أيها المؤمنون: نقول بملء الفم وبأعلى الصوت: ما خان الغربي إلا يوم أن تخلت أمة الأمانة عن الأمانة، وما تولى الرجل الغربي قيادة العالم وقيادة الأمة إلا يوم أن وقعت الأمة في الخيانة؛ خانت الأمة ربها ونبيها، وضيعت الأمانة يوم أن

وسدت الأمر إلى غير أهله، وهذا هو تفسير نبينا لتضييع الأمانة كما في صحيح البخاري أنه كان -ﷺ- يحدث الناس يوماً، فجاء أعرابي فقال: « يا رسول الله! متى الساعة؟ فقال النبي -ﷺ-: «إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة»، فقال الأعرابي الفقيه: فكيف إضاعتها يا رسول الله؟ ! قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله » [رواه البخاري]. .

أيها المؤمنون :

شر ما في المجتمع أن تسود الخيانة، وتضيع الأمانة، وشر من ذلك أن يوسّد الأمر إلى غير أهله ويؤمّن الخائن وهذه من علامات الساعة.

ففي مستدرك الحاكم ومسند أحمد بسند صحيح من حديث أبي هريرة -- رضي الله عنه -أن النبي -ﷺ- قال: «**سيأتي على الناس سنوات خداعة؛ يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين**».

اللهم ولي علينا الأمناء الأخيار، ولا تولّ علينا الخونة الأشرار.

أيها الكرام:

ومن أنواع الخيانة : خيانة العلم، خيانة العالِم لعلمه، فالعلم أمانة في عنق العلماء، إن يبيّنوه للناس ولا يكتمونه ويصونوه من التحريف والتلاعب فإن اتقى العالم ربه وأدى ما يدين به لله بحكمة بالغة فهو أمين، وإن زور بهذا العلم الفتاوى لذوي السلطان، وأباح له القتل والظلم والفساد فهو خائن، قال -ﷺ-: « **من سُئل عن علمٍ فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نار** »[أخرجه أحمد وصححه الألباني في تعليقه

على المشكاة (٢٢٣)].

ومن أنواع الخيانة خيانة المجالس وإفشاء أسرارها، فكم من حبالٍ تقطعت ومصالح تعطلت لاستهانة بعض الناس بأمانة المجالس، قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود عن جابر بن عبد الله - -رضي الله عنه-: «**إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهو أمانة**».

حتى العلاقات الزوجية في نظر الإسلام مجالسها تُصان، فما يحوي البيت من شؤون العشرة بين الرجل وزوجه الخاص والعام يجب أن يطوى في أستار مسبلة، لا يطلع عليها أحد مهما قرب، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال كما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد -رضي الله عنه-: « **إن من أشر الناس يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها أو تنشر سره**».

ومن الخيانة خيانة تضييع الأهل؛ بإهمالهم، وعدم تعهدهم بالتربية والنصح، فكم من الآباء من قد خان هذه الأمانة! وكم من أم قد ضيّعت هذه الأمانة! فمن الآباء من ظن أن واجبه نحو أهله طعام وشراب ولباس، ولا يهتم بدينهم ولا بأخلاقهم. ! وكم من أم اشتغلت بالحفلات والمناسبات والموضات فخانت الأمانة وضيعت أولادها. روى البخاري ومسلم من حديث مَعْقِل بن يَسار- -رضي الله عنه- -أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت هو غاشٌّ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»[متفق عليه]، وأي غش ـ أيها المسلمون ـ أكبر من ترك الحبل للأهل والأولاد على الغارب. وكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.

ومن الخيانة خيانة الدَين ، فكم من الناس من أخذ أموال الناس ثم ماطلهم وتهرب من رد ما عليه ، وهذه خيانة، والنبي -ﷺ- يقول: « **من أخذ أموال الناس ينوي أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله** »[رواه البخاري].

اللهم اجعلنا من أهل الأمانة، اللهم اجعلنا أهلاً للأمانة.

ومن أنواع الخيانة موالاة أعداء الله من اليهود والنصارى والمنافقين، تروي كتب السيرة انه عندما تجهز النبي -ﷺ- لفتح مكة جعل الأمر سرا فلا يعرف اهل مكة قام حاطب بن أبي بلتعة صاحب النبي -ﷺ- فأرسل رسالة لقريش ، إن النبي -ﷺ- قد جاءكم بجيش لا قبل لكم به فخذوا حذركم، فنزل جبريل ليخبر النبي بهذه الخيانة .

فعُقدت محكمة ميدانية، جيء بحاطب، «يا حاطب ما هذا؟ "بكى حاطب وأشهَد الله أنه لم يفعل ذلك خيانة، إنما له أهل ضعاف، أراد أن لا تقتلهم قريش إذا سمعوا أن الجيش قد جاء، فأرسل الرسالة ليحافظ على أهله، فقال عمر: يا رسول الله، هذا رجل كذاب، دعني أضرب عنقه، قال -ﷺ-: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟** !»[متفق عليه].

وينادي حاطب وهو ينظر إلى المسلمين: والله ما خنت الله ورسوله، والله ما نويت ذلك ولا خطر لي ذلك. وأنزل الله تعالى العتاب لحاطب وللمؤمنين جميعا

فقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَاءكُمْ مّنَ الْحَقّ إلى آخر الآية﴾[الممتحنة: ١].

ومن الخيانة: خيانة الشريعة: فلا تُطَبّق، بل تُعزل عن حياة المسلمين، أين الشريعة في الدساتير العلمانية؟ ! أين الشريعة في الاقتصاد ؟ ! أين الشريعة في الإعلام ؟ ! أين الشريعة في السلم والحرب والتعليم والقضاء؟.

ويبقى القرآن في المساجد وفي مسابقات حفظ القرآن، أما أن يطبق و يحكم في الأرض ويسود فلا وهذه عين الخيانة، والظلم ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون، اللهم ردنا إلى دينك ردا جميلا .

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، واشهد أن سيدنا محمد -ﷺ- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع اخوانه.

وبعد عباد الله:

ومن الخيانة خيانة الأعراض: وهي انتهاك الأعراض بالزنا والقذف وقد حرم الله الزنا ونهى عن مقاربته ومخالطة أسبابه فقال: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾ [الإسراء: ٣٢]

والزنا دين ان أقرضته كان الوفا ... من أهل بيتك فافهم
من يزني في بيت بألفي درهم ... في بيته يُزن بغير الدرهم

الزنا والخيانة ولو كان بكلمة يُرمى بها بريء بالفاحشة ؛ لأن في ذل ك هتكًا للأعراض ، واعتداءً عليها ، يستوجب فاعل ذلك اللعن من الله تعالى والعذاب العظيم قال تعالى :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النور:٢٣]

وقد ذكر القرآن الكريم حادثة مفصلة عن خيانة العرض ؛ وهي قصة خيانة امرأة العزيز زوجَها عندما راودت يوسف (عليه السلام) عن نفسه .،لكن نفس يوسف العفيفة تأبى عليه أن يقع في الفاحشة، أو يخون الأمانة، أو أن يقع في وحل الرذيلة والخيانة، أو أن يسيء إلى من أحسن إليه، وأدخله بيته. ولكن ليس الأمر مقتصرا على امرأة العزيز ؛ فإن الذي حدث من امرأة العزيز قد يحدث من أي أنثى ، ولو بالنظرة المحرمة ، أو بكلمة ، وإن من خيانة المرأة زوجها : أن يرى زينتها غير زوجها ومحارمها ، قال تعالى ولا يبدين زينتهن . ومن خيانتها له الخضوع بالقول للأجانب قال تعالى ولا تخضعن ومن الخيانة في الأعراض النظرة الحرام، قال تعالى: ﴿**يَعۡلَمُ خَائِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ**﴾[غافر: ١٩]، قال ابن عباس -رضي الله عنه-: «**هذا الرجل يدخل على أهل بيت وفيهم امرأة حسناء، فإذا غفلوا نظر إليها، وإذا فطنوا غضَّ بصره**»، **فكيف بالزنا؟ !**

ومن معاني الخيانة خيانة الودائع التي وصى الله بها من فوق سبع سماوات: انظروا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كيف استخلف ابن عمه علي بن أبي طالب ليُسَلم إلى المشركين الودائع التي حفظوها عنده، مع أنهم آذوه واضطروه إلى ترك أرضه.

والخيانة متى ظهرت في قوم فقد أذنت عليهم بالخراب، فلا يأمن أحد أحدًا، ، ولا يأمن صديق صديقه، ولا زوج زوجه، ولا أب ولده، وقد جاء في الآثار: «لا تقوم الساعة حتى لا يأمن المرء جليسه».

وهذه قصة ذكرها التنوخي صاحب كتاب الفرج بعد الشدة: أن رجلاً أمسى في بعض محال الجانب الغربي من مدينة السلام(بغداد)، ومعه دراهم لها قدر.

فخاف على نفسه من الطائف، أو من بلية تقع عليه، فصار إلى رجل من أهل الموضع، وسأله أن يبيته عنده، فأدخله. فلما تيقن أن معه مالاً، حدث نفسه وزوجته بقتله، وأخذ المال.

وكان له ابن شاب، فنومه بحذاء الرجل، في بيت واحد، ولم يعلم ابنه ما في نفسه، وخرج من عندهما، وقد عرف مكانهما، وطفئ السراج.

وجاء الرجل يطلب الضيف لقتله، فخنقه، فاضطرب، ومات.

فدعا زوجته لحمل الجثة ويحدث ما لم يتوقع يجدون أن المقتول هو ابنهما- يا الله-.

قدر الله أن الابن انتقل من موضعه إلى موضع الضيف، وانتقل الضيف إلى موضع الابن، وانتبه الضيف باضطرابه، وعرف ما أريد به، فخرج هارباً، وصاح في الطريق، ووقف الجيران على خبره، وأغاثوه، وخرجوا إليه.

وأخذ الرجل، فقُرر، فأقر بقتل ولده، فحبس، وأخذ المال من داره، فرُد على

الضيف، وسلِم.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

الخيانة «٣»

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله ولي الصالحين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أثقل بها الميزان، وأحقق بها الإيمان، وأفك بها الرهان، وأخسئ الشيطان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق.

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومنعينٍ لا تدمع، ومن قلبٍ لا يخشع، اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء، اللهم ارفع عنا الغلاء، والوباء وولِّ علينا خيارنا ولا تولِّ علينا شرارنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك.

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

وإذا أردتم النصر والرزق فطبقوا على أنفسكم قوله تعالى: وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٢-٣] وإذا خفتم على أولادكم فتذكروا قوله تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ٩﴾ [النساء:٩]

هذا هو اللقاء الخاتم عن تلكم الجريمة النكراء، الجريمة التي نخرت في جسم

الأمة الإسلامية عبر التاريخ ،وقتلت خيرة رجالها، وقفتنا الأخيرة عن الخيانة و أنواعها.

أخي الحبيب: لو أن إنسانا أمسك بيدك وأخذك إلى مكان هادئ وبمنتهى الهدوء قال لك نصيحة فلان يكرهك.

عندما تسمع هذه الكلمة فلان يكرهك تجد نبض قلبك يزداد يكرهني لماذا؟

السؤال هل تحب أن يكرهك أحد؟ فما بالك إذا كان الذي يكرهك هو الله نعوذ بالله من ذلك.

هناك صفات وأعمال تجعلنا ممن يبغضهم الله. ومن هذه الصفات الخيانة﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال:٥٨] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨].

عباد الله: أعظم خيانة للأمانة أن يخون الإنسان أمانة نفسه، أن يخون أمانة التكليف، أن يبتعد عن ربه، أن يعصيه، هذه الخيانة التي تسبب له شقاء الدنيا والآخرة. فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:١٢٤]

أخي الحبيب: من مدحك بما ليس فيك فقد خانك، ومن ستر عنك الرشد والهدى والحق إتباعاً لما تهوى فقد خانك.

ومن الخيانة أيها المؤمنون خيانة الأهل والعشيرة، خيانة أمانة الأخوة،

وهذا وجدناه في أخوة يوسف حين خانوه و تناسوا رابطة الأخوة، ضاربين بالمواثيق والعهود التي قطعوها لأبيهم عرض الحائط، في قصة تقشعر من ألمها وأحداثها الجلود، مبينة أثر الحقد والحسد والغيظ المؤدي إلى الكيد والخيانة.

ومن الخيانة: **خيانة الكسب**: والمسلم الحق يحرص على الحلال في مطعمه ومشربه، فلا غش ولا خداع ولا كذب، جاء في الحديث أن رسول الله -ﷺ- مر في السوق على صُبْرَة طعام أي: كُومة، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟ ! "قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «**أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ ! من غشنا فليس منا**»[رواه مسلم]. الغش في البيع والشراء، الغش في الطب و الأدوية والفحوصات، الغش في التعليم والقضاء وغيرها نعوذ بالله من الخيانة ، ولذلك يقول -ﷺ-: « **من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار** »[رواه الطبراني في الكبير والصغير وابن حبان في صحيحه].

وترك النصيحة للمؤمن خيانة، لأن في ذلك غمطاً للمؤمن و وخيانة له قال -ﷺ-: « **من أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد في غيره فقد خانه** »[أبو داود- كتاب العلم].

ومن معاني الخيانة أيضاً أن يستغلّ الرجل منصبه الذي عُيِّن فيه لجرّ منفعة إلى شخصه أو قرابته، فإن التشبّع من المال العام جريمة، قال رسول الله -ﷺ-: «**من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول**»[رواه أبو داود]. و ذكر أبو نعيم صاحب حلية الأولياء أن عمر بن الخطاب بعث إليه أميره في

الشام زيتًا في قرب ليبيعه ويجعل المال في بيت مال المسلمين، فجعل عمر يفرغه للناس في آنيتهم، وكان كلما فرغت قِرْبة من قِرَب الزيت قلَبها ثم عصرها وألقاها بجانبه، وكان بجواره ابن صغير له فكان الصغير كلما ألقى أبوه قربة من القِرب أخذها ثم قلبها فوق رأسه حتى يقطر منها قطرة أو قطرتان، ففعل ذلك بأربع قرب أو خمس فالتفت إليه عمر فجأة، فإذا شعر الصغير حسنٌ ووجهه حسن فقال: ادّهنت؟ قال: نعم، قال: من أين؟ قال: مما يبقى في هذه القرب، فقال عمر: «**إني أرى رأسك قد شبع من زيت المسلمين من غير عوَض، لا والله لا يحاسبني الله على ذلك**». ثم جره بيده إلى الحلاق وحلق رأسه، خوفًا من قطرة وقطرتين.

قال أبو ذر لمعاوية بن أبي سفيان حين رآه يبني قصرا باذخا : إذا كان هذا من مالك فهو الإسراف وإن كان من مال الأمة فهي الخيانة.

ومن الخيانة أن يُسنَد عمل إلى غير أهلِه، قال النبي -ﷺ-: «من استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[رواه الحاكم (٤/ ٩٢-٩٣) وصححه، وفي إسناده حسين بن قيس ضعّفه المنذري في الترغيب (٣٢٦٨) وضعَّفه الألباني].

فلا يُسند منصب إلا لمن هو أهلٌ له، ولا تُملأ وظيفة إلا للقوي الأمين ، فلا اعتبار للمجاملات والمحسوبيات. حتى الصحبة لا يُنظر إليها، انظروا كيف راعى النبي -ﷺ- ذلك، فحين قال أبو ذر: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ ! قال: فضرب يده على مَنْكِبي ثم قال: «**يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدَّى الذي عليه فيها**» [رواه مسلم (١٨٢٥)].

إنها أمانة الولاية، هذه الأمانة توضحها فاطمة بنت عبد الملك زوجة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، تروي فاطمة بنت عبد الملك أنها دخلت على عمر زوجها يوماً في مصلاه، فوجدته واضعاً يده على خده ودموعه تسيل، فقالت له؟ ما بالك وفيما بكاؤك؟ قال: ويحك يا فاطمة إني قد وُليتُ هذا الأمر، ففكرت في الفقيرِ الجائع، والمريضِ الضائع، والعاريْ المجهول، واليتيمِ المكسور، والمظلومِ المقهور، والغريب، والأسير، والشيخِ الكبير، والأرملةِ الوحيدة، وذي العيالِ الكثير والرزقِ القليل، وأشباهِهم في أطرافِ البلاد، فعلمتُ أن الله سيسألني عنهم جميعاً يومَ القيامة، وأن خصميْ دونهم رسولُ الله -ﷺ-، فخشيت ألا تَثْبُت حجتي، فلهذا أبكي. إنها أمانة الولاية.

الفساد والخيانة تجعل الخزينة العامة مثل القربة المخرومة، ويجعل المشروعات هشة ومتعثرة، ويؤثر على الاستقرار الاجتماعي، ويغذي العنف، ويؤدي إلى انحسار ثقة الشعب في المؤسسات الحكومية، و. . . و. . . ولا حول ولا قوة إلا بالله!

ومن الخيانة أيضاً خيانة النعمة وعدم شكرها :

إن كل نعمة أُستخدمت في غير طاعة الله في غير ما خُلقت له خيانة لهذه النعمة، الله وهبك النعم لتتقرب بها إليه وتتودد إليه، لا أن تستخدمها في معصيته وأذية خلقه فهو سبحانه قادر أن يسلبك كل نعمة أعطاك إياها.

ـ لسانك أمانة، وعيناك أمانة وأذناك أمانة ، ورجلاك أمانة، ويداك أمانة، قد تخون

اليد فتمتد إلى ما ليس لها، ولهذا قد يقرر الشرع قطعها اذا استوفيت الشروط، وانتفت الشبهات قطعت هذه اليد لأنها خانت، ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة:٣٨].

والبطن أمانة والفرج أمانة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ﴾ أي: المعتدون.

ومن الخيانة خيانة الوطن:

والخائن لوطنه الخائن لامته يلفظه وطنه، ويلعنه أهله، والعرب قبل الإسلام كانت ترى في خيانة الوطن جُرما يستحق صاحبه فيه الرجم.

من هو خائن الوطن؟

خائن الوطن، أيها الكرام لسنا نعني به من يبيع بلاده بثمن بخس بل خائن الوطن من يكون سبباً في خطوة يخطوها العدو في أرض الوطن، بل من يدع قدمي العدو تستقر على تراب الوطن وهو قادر على زلزلتها، فهو خائن، "سألوا (هتلر) قبل وفاته: "من أحقر الناس الذين قابلتهم في حياتك..؟ قال:«**أحقر الناس الذين قابلتهم في حياتي؛ هؤلاء الذين ساعدوني على احتلال أوطانهم**"!!!

ابن العلقمي لعنه الله اسمٌ نذكره ونذكر خطر الخيانة التي كان ثمنها قتل مليون مسلم. وقد كان دليلا لهولاكو قائد التتار على عورات بغداد وتدمير دولة الإسلام فلعنة الله على الخائنين في كل زمان ومكان. ومن خيانة الوطن أكل ثرواته بالباطل

وبيعها بثمنٍ بخس.

ذات يوم أراد أحدهم أن ينافق نابليون، القائد الفرنسي فنقل إليه أسراراً عسكرية عن جيش بلاده، استقبلها نابليون بسرور بالغ، وقد ساهمت هذه الأسرار فيما بعد في تحقيق الانتصار له في الحرب، وبعد الانتصار، استقبل نابليون ذلك الرجل بجفاء، وأخذ كيساً من المال وألقاه إليه دون أن يترجل عن ظهر حصانه، فقال له المنافق: "لا حاجة بي إلى المال، وأمنيتي هي أن أصافح الإمبراطور"، فقال له نابليون: "من يخون وطنه وينافق أعداءه على حساب شعبه له المال فقط، أما يد الإمبراطور فإنها لا تصافح إلا الأشراف المخلصين".

ومن الخونة المشهورين عبر التاريخ أبو رغال: يعدُّ أبو رغال الخائنَ الأكبر، الذي جعَل من نفسه دليلًا وعميلًا لأبرهةَ الأشرم عندما عزم على هدم الكعبة، ولقد مرَّ الرسول (ﷺ) بقبره فرجَمه، فأصبح رَجمُه سنَّة.

ومن الصور المشرفة للأمانة السلطان عبد الحميد آخر خلفاء الدولة العثمانية المسلمة. قام اليهود بمحاولة خسيسة مع السلطان، فأوفدوا إليه احد أثرياءهم ومعه خمسة ملايين ليرة ذهبية وقال له هذه هدية لخزينتكم الخاصة ومائة مليون كقرض لخزينة الدولة بلا فائدة لمدة مائة سنة على أن تسمحوا لنا ببعض الامتيازات في فلسطين".

فما أن أتم "اليهودي " كلامه حتى نظر السلطان عبد الحميد إلى مرافقه بغضب، وقال له: هل كنت تعلم ماذا يريد هذا الخنزير؟ فارتمى المرافق على قدمي السلطان

مقسمًا بعدم علمه، فالتفت السلطان إلى "هذا اليهودي" وقال له: "اخرج من وجهي يا سافل"، فأرسل إليه "اليهودي" برقية تضمنت أن رفضك سيكلفك ممتلكاتك أنت شخصيًا. لم يهتز السلطان عبد الحميد، ولقد حاول اليهود مرة ثانية وثالثة فرفض السلطان في إباء وشموخ وعزة وكبرياء وقال لا استطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين؛ إذ هي ليست ملكًا لي؛ بل هي للامة الإسلامية التي قاتلت من أجلها وروت التربة بدماء أبنائها،

نعم أيها المؤمنون من سلم شبرا واحد من بلاده ووطنه من اجل لعاعة دنيا فهو خائن وقد قيل مثل الذي خان وطنه و باع بلاده مثل الذي يسرق من مال أبيه ليطعم اللصوص ، فلا أبوه يسامحه و لا اللص يكافئه

عباد الله:

ونختم حديثنا عن الخيانة بقصة من قصص القران، قصة فيها عبرة وعظة.

إنها قصة خيانة جرت على عهد رسول الله - -ﷺ- -نزل فيها قرآن يُتلى إلى قيام الساعة، سرق رجل يُدعى: طُعمة بن أُبيرق، في ظلام الليل درع قتادة بن النعمان، وكانت في جراب تملؤه نخالة دقيق، فجعلت النخالة تتناثر من ثقب في الجراب على طول الطريق، حتى انتهى طعمة إلى داره فبدا له أن ينصرف (بفضيحته) فرمى بالدرع إلى دار جاره اليهودي (زيد بن السمين). وحين أصبح قتادة افتقد درعه، ووجد النخالة - اثر جرابها - تخط خطاً فاتبعه، فإذا هو يهديه إلى دار طعمة، وإذا طعمة يحلف بالله ما أخذها، وما له بها من علم.

لقد افتضح طُعمة! وجاء قومه إلى النبي -ﷺ-، ليجادلوا بين يديه عن طعمة، ويرموا بإثمه اليهودي، وتناسوا أن فضيحة الدنيا أهون من فضيحة الآخرة. فانطلقوا إلى رسول الله - -ﷺ- وقالوا: إن صاحبنا بريء وإن الذي سرق الدرع فلان اليهودي . . فنزلت الآية تبرئ اليهودي-الله أكبر تبرئ من؟ تبرئ اليهودي نعم.

هذا هو عدل الإسلام .

فأنزل الله تعالى: في هذه القصة ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** *النساء: ١٠٧-١٠٥]

واستغفر الله أن تناصر خائن. واستغفر الله أن تُعين خائن.

﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [

ثم يقول تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً** ﴾ [النساء: ١١٢].

وما أكثر ما يرتكب ناس مثل هذه الخطيئة! ويبرؤون أنفسهم مما ارتكبوه ويلطخون به البريئين.

وبنظرة في وسائل الإعلام في هذا العصر يرى المرء العجب العجاب من الاتهامات الكاذبة من فرد لآخر، ومن جماعة أو حزب لجماعة أو حزب آخر، ومن دولة لدولة أخرى، وكثيرا ما يكون المتَّهِم غارقا في العيوب والنقائص التي اتهم بها غيره.

وهذه القصة رسالة لأي واحد منا ربما وقع احد أقاربه في جريمة أو في ذنب، ثم تأخذه الغيرة على النسب ليقوم مدافعاً عن هذا المجرم وهذه خيانة وظلم، وفي مثل هذه الحالة يتمثل واجب نصرة الأخ في قول رسول الله -ﷺ-: "قال: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»، فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ ! قال: «**تحجزه أو تمنعه من الظلم؛ فإن ذلك نصره**» [أخرجه البخاري].

عباد الله: ختاما ما العلاج للخيانة ما العلاج لهذه الآفة الخطيرة

العلاج يكمن **أولاً**: في العودة إلى الله عودةً صادقة وصدق الله القائل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]

ثانيا: تولية الأمناء الأكفاء الصادقين، كفانا عبثا كفانا بيعًا للذمم فلنؤد الأمانات إلى أهلها.

ثالثاً: إقامة شرع الله وإقامة الحدود كي يأمن الناس على أموالهم وأعراضهم وبيوتهم.

جاء في الأثر: «**حدٌ يقام في الأرض خير لأهلها من أن يمطروا أربعين صباحاً**».

رابعا: أن تُربى القلوب على مخافة الله وخشيته، ومراقبته لا مراقبة الخلق.

خامسا إبراز نَماذج الأمناء المخلصين من أبناء الأمَّة، وكيف مجَّدهم التاريخ ورفَع من شأنهم.

سادسا إبراز نماذج الخائنين من أبناء الأمَّة، وكيف لعَنهم التاريخ وحطَّ من قدرهم.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

القوة في الإسلام «١»

الحمد لله جعل في السماء بروجاً، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، أحمده سبحانه جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أحاط بعباده علماً، إنه كان سميعاً بصيراً، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله حق التقوى، وتمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا أن أنفسكم على النار لا تقوى.

عباد الله: سنقف وإياكم مع القوة.

القوة في الإسلام مصادر القوة وعناصر القوة وأسباب القوة.

هل المسلمين اليوم أقوياء أم ضعفاء، هل أهل الإيمان والصلاح أقوياء أم ضعفاء، إن كانوا ضعفاء ما سبب ضعفهم، وما الذي يعيد لهم قوتهم ومجدهم وعزهم.

عباد الله: إن الإنسان بحاجة في هذه الدنيا إلى قوة تسند ظهره، وتشد أزره، وتأخذ بيده، وتذلل له العقبات، وتقهر أمامه الصعاب، وتنير له الطريق.

ما هي القوة ما تعريفها: كثيرٌ منَ الناس عندهم مفهومِ القوة والضعفِ مفهوم

مادّي واعتباراتٍ أرضيّة، فهذا يقدِّر القوةَ والضعف بحسَب إقبالِ الدنيا وإدبارها، وآخرُ يقدِّر القوّةَ بممارسةِ الجبَروت والقهرِ والبغيِ والطغيان، وثالث يظنّ القوةَ لمن كان له جاهٌ أو حَظوة من سلطان، ورابعٌ يركَن في قوّته إلى ماله أو ولدِه أو مَنصبِه، وخامِسٌ يستمدّ قوّتَه من إجادةِ فنون المكرِ والكيد والخِداع والقدرةِ على التلوّن حسَب المواقف والأحوال.

والقوّة ليست في ذلك، ولكنَّها قوّة العقيدةِ والخلُق، القوّةُ في العبادةِ والسّلوكِ والجِسم والعِلم والصّناعة والتّجارة. تلك القوّةُ التي تتَّجه بجهد الإنسانِ إلى الخير وتقودُه إلى الرَّحمة، وتجعَل منه أداةً يحِقّ الله بها الحقَّ ويبطِل الباطِل.

عباد الله:

من أين نشتري هذه القوة وأين تباع؟ إنها عباد الله في ظلال العقيدة، ورحاب الإيمان بالله.

الإيمان بالله هو الذي يمدنا بروح القوة، وقوة الروح، فالمؤمن لا يرجو إلا فضل الله، ولا يخشى إلا عذاب الله، ولا يبالي بشيء في جنب الله. إنه قوي وإن لم يكن في يديه سلاح، غني وإن لم تمج خزائنه بالفضة والذهب، عزيز وإن لم يكن وراءه عشيرة وأتباع، راسخ وإن اضطربت سفينة الحياة، وأحاط بها الموج من كل مكان.

جاء في حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أن الله خلق الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد قالت يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار قالت يا رب فهل من**

خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء قالت يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح قالت يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله، فهو بإيمانه أقوى من البحر والموج والرياح، وفي الحديث:«**لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال**»[رواه الترمذي من حديث أنس].

وهذه القوة في الفرد مصدر لقوة المجتمع كله، وما أسعد المجتمع بالأقوياء الراسخين من أبنائه، وما أشقاه بالضعفاء المهازيل، الذين لا ينصرون صديقاً، ولا يخيفون عدواً، ولا تقوم بهم نهضة، أو ترتفع بهم راية.

عباد الله: ما أجمل وما أحلى القوة في الحق، حين تندفع بردًا وسلامًا، فترد الحقوق ممن سلبها فتنصر المظلوم وترد له حقه من الظالم.

ما أجمل وما أحلى القوة في الحق، حين تندفع بردًا وسلامًا فتكون دماراً على المفسدين والمجرمين.

لا يعرف فضل القوة إلا من ظُلم فلم يجد من ينصره.

لا يعرف فضل القوة إلا من سُلب ماله، أرضه ولم يجد من يعينه لأنه ضعيف.

لا يعرف فضل القوة إلا من حُبس ظلماً ومكث في السجن أشهر بل أحيانا أعوام ولم يجد من يخرجه.

ولو كان صاحب مال وسلطان وحسب لما ظل في السجن ليلة واحدة إلا وتأتي الاتصالات والوساطات لإخراجه، من للضعيف من للمظلوم من للفقير؟ .

لا يعرف فضل القوة المؤيدة للحق إلا من عاش تحت وطأة الطغيان دهرًا

طويلاً.

ما أجمل القوة العادلة عندما تحق الحق وتبطل الباطل.

إن القوة التي تقيم بين الناس موازن القسط، وتبسط بينهم العدل هي ما أمر به الإسلام، وربى عليه أتباعه، بل حضّ على بذل النفس والنفيس من أجله، وفي الحديث الصحيح: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير**»، وفي التنزيل العزيز: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وآخرين مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾[الأنفال: ٦٠].

الحق المسلوب لن يستطيع رده إلا رجال لهم جرأة في الحق لا يخافون في الله لومة لائم.

إنهم رجال عندهم حرص على التضحية في سبيل الله أشد من حرص عدوهم على المغامرة، ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ والقرآن وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذالِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[التوبة: ١١١].

إن الأمة والعالم بحاجة إلى القوة التي تعرف العدل والنظام مثل حاجته إلى الطعام والشراب أو أشد، بل لا لذة لطعام ولا شراب إذا زاد الخوف وفشا الظلم.

أيها الإخوة المسلمون:

لقد تغيّر الزمن على المسلمين والمؤمنين، فانكمشوا بعد امتداد، ووهنوا من

بعد قوة، وما ذلك إلا لسر ولكنه ليس بسر، لقد كشفه نبينا محمد - -ﷺ- في قوله: «**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها**» **قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن» قالوا: وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»**[صحيح، أخرجه أحمد، وأبو داود وصححه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الدجى، والتابعين لهم بإحسان ومن سار على نهجهم واقتفى، وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

عباد الله،

إن من أهم أسباب المحافظة على العزة التي كتبها الله لعباده المؤمنين الأخذ بعناصر القوة في أشكالها المتعددة، وذلك استجابة لأمر الله القائل في كتابه الكريم: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مّن قُوَّةٍ**﴾.

من عناصر القوة:

أولا: قوة العقيدة ورسوخ الإيمان بالله جل وعلا وبكل ما جاء عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله -ﷺ- والانقياد الكلي لله ولرسوله في كل ما نأتي ونذر، فإن المسلم إذا تغلغل الإيمان في قلبه أكسبه نشاطًا وحماسًا على تحمل الصعاب ومواجهة الأخطار دون تهَيّب.

إن العقيدة القوية تضفي على صاحبها قوة تنطبع في سلوكه كله وفي عبادته ومعاملاته وأخلاقه وفي شأنه كله، فإذا تكلم كان واثقًا من قوله، وإذا عمل كان راسخًا في عمله، وإذا توجه كان واضحًا في هدفه، لا يعرف التردد أو اليأس إلى نفس المؤمن سبيلاً.

إن الأمة في أوضاعها الراهنة لفي حاجة إلى شباب أقوياء في عقيدتهم.

شبابٌ ذللوا سبلَ المعالي ... وما عرفوا سوى الإسلام دينا
إذا شهدوا الوغى كانوا كماة ... يدكون المعاقل والحصونا
وإن جنَّ المساء فلا تراهم ... من الإشفاق إلا ساجدينا
شباب لم تحطمه الليالي ... ولم يُسْلِمْ إلى الخصم العرينا
ولم تشهدهم الأقداح يوما ... وقد ملؤوا نواديهم مجونا
وما عرفوا الأغاني مائعات ... ولكن العلا صيغت لحونا
ولم يتشدقوا بقشور علم ... ولم يتقلبوا في الملحدينا
كذلك أخرج الإسلام ... قومي شبابا مخلصا حرا أمينا

المؤمن القوي يأخذ تعاليم دينه بقوة، وينقلها إلى غيره بقوة، ويتحرك ويدعو في مجتمعه بقوة لا وهن معها ولا ضعف، يستشعر قول الباري جل وعلا: ﴿**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ**﴾[البقرة: ٦٣]، وقوله جل وعز: ﴿**يَا يَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ**﴾[مريم: ١٢]،

وقول الله تعالى: ﴿**فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا**﴾[الأعراف: ١٤٥].

إنها قوة المؤمن التي لا رخاوة فيها ولا قبول لأنصاف الحلول مع الخصوم.

وهذا سيد قطب -رحمه الله-: رجل كان يعيش بين ظهرانينا، عُرضت عليه الدنيا كلها، عُرضت عليه الوزارة وهو وراء القضبان، وعُرضت عليه الدنيا؛ والافراج على أن يكتب ورقة اعتذار لمن ظلمه، لكنه رفض وأبى، وقبل الإعدام كان يردد كلمته: "**إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفاً واحداً تقر به حكم طاغية**". ومضى سيد قطب إلى ربه. ليس في ديننا مجاملة ومداهنة للظالم.

ولذلك عندما سأل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك أبو حازم سلمة بن دينار[1] فقال له: لماذا نكره الآخرة ونحب الدنيا؟ ! قال له بكل شجاعة وقوة: «**لأنكم عمّرتم دنياكم وخرّبتم آخرتكم، فأنتم تكرهون الانتقال من العمار إلى الخراب**».

إن المؤمن لا يعرف الهزال ولا يعرف إضاعة الأوقات، بل كله جد وصرامة وقوة. وبقوّة العقيدةِ والإيمان جعلَ الله لرسوله من الضعفِ قوّةً ومن القِلّة كثرةً ومنَ الفقر غِنى، لقد كان فَردًا فصار أمّةً، وكان أمّيًّا فعلَّم الملايين، وكان قليلَ المال فصار بالله أغنى الأغنياءِ، قال الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى *وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى*وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى**﴾[الضحى: ٦-٨].

---

(١)سَلَمَة بن دِينار(٠٠٠ - ١٤٠ هـ = ٠٠٠ - ٧٥٧ م)سلمة بن دينار المخزومي، أبو حازم، ويقال له الأعرج: عالم المدينة وقاضيها وشيخها. فارسي الأصل. كان زاهدا عابدا، بعث إليه سليمان بن عبد الملك ليأتيه، فقال: إن كانت له حاجة فليأت، وأما أنا فما لي إليه حاجة. قال عبد الرحمن ابن زيد ابن أسلم: (ما رأيت أحدا الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم) أخباره كثيرة.

فعلينا ـ يا عباد الله ـ بتقوية الإيمان في نفوسنا ونفوس أبنائنا؛ لنضمن العزة التي كتبها لنا ربكم إن كنا مؤمنين، فالعقيدة الصحيحة هي أساس الفلاح في الدنيا والآخرة والنجاح في الأمور كلها والعاقبة الحميدة والله المستعان.

ومِن أسرار قوّةِ العقيدة أنّه لا يستطيعُ إنسانٌ كائنًا من كان أن يمنعَك من رِزق كتبه الله لك، ولا أن يعطيَكَ رِزقًا لم يَكتُبه الله إليك، بهذا ينقطِع حبلُ اللجوءِ إلى أغنياءِ الأرض وأقويَائِها، ويتَّصِل العبد بحبلِ الله المتينِ، فهو المعطِي المانع والرَّزّاق ذو القوّة المتين، يقول رسول الله -ﷺ- لابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «**يا غلام، إني أعلِّمُك كلمات: احفظِ اللهَ يحفظْك، احفَظِ الله تجِدْه تجاهَكَ، إذا سألتَ فاسْألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعِن بالله، واعلم أنّ الأمةَ لو اجتمَعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمَعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلامُ وجفَتِ الصحف**» [رواه الترمذي].

تمثلت قوّةِ العقيدةِ عند عمر بنِ الخطاب -رضي الله عنه- يوم قال له رسول الله -ﷺ-: «**والذي نفسي بِيَده، ما لقِيَك الشيطان سالِكًا فجًّا قطُّ إلاّ سلَك فجًّا غيرَ فجِّك**»[رواه البخاري]. وهذه فضيلة عظيمةٌ لعمرَ -رضي الله عنه- تقتضِي أنّ الشيطانَ لا سبيلَ له عليه لقوّةِ إيمانه.

المؤمِنُ القوِيّ يتماسَك أمامَ المصائبِ ويثبُت بين يدَيِ البلاء راضيًا بقضاء الله وقدَره، وقد صوَّر هذا رسولُنا بقوله: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمرَه كلَّه خير، وليس ذلك لأحدٍ إلاّ للمؤمن؛ إن أصابته سرّاءُ شكَر فكان خيرًا له، وإن أصابَته ضرّاء صبرَ فكان خيرًا له**» [رواه مسلم].

وسُجن شيخ الإسلام ابن تيمية فما كان منه إلا أن قال: "ما يفعل أعدائي بي؟ !

أنا سجني خلوة بالله، ونفيي سياحة في أرض الله، وقتلي شهادة في سبيل الله".

ولقد قُهِرَ أناس وظُلم آخرون وهُدّدوا فلم يردهم ذلك عن إيمانهم، ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[آل عمران: ١٧٣].

كم من أقوياء الأجسام أغنياء المال لكنهم ضعفاء أمام البلاء والمصائب أما المؤمن فهو صابر في كل أحواله قوي بثقته أن كل ما في الدنيا لا يساوي جناح بعوضة والدنيا كلها منتهية وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن عناصر القوة **ثانيا: القوة في العبادة بالمحافظة على الفرائض** والاجتهادِ في الطاعات والتّنافس في الخيرات والتقرُّب إلى الله، ليس قوياً من يسمع النداء للصلاة ولا يجيب النداء لأنه ضعيف أمام شهوة المال والدنيا ولو كان قويا لأجاب نداء رب الأرض والسماء.

وما أنتصر المسلمون في معاركهم إلا عندما كانت علاقتهم مع الله قوية في جانب العبادات. لا تنقَشِع غمّةٌ ولا تنقَلِع كربة إلا بإذنِ الله ثمّ بسبَبِ العودة للدّين. كان صلاحُ الدين يمرّ على الخِيَم، فإذا سمع من يقرأ القرآنَ ويسبِّح الله ويذكُره يقول مقالَتَه المشهورةَ عند المؤرِّخين: «**مِن ها هُنا يأتي النصرُ**».

المؤمن القوي لا يمدّ يدَه إلاّ إلى الحلال، ولا يعيشُ إلا في الطاعَةِ والرّضوان، لقد كان رسولُ الله يقوم حتى تفطَّرت قدَماه، لا يتركُ قيامَ الليل، وكان يتصدَّق بكلِّ ما عِنده.

هذا وصلوا - **عباد الله**: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب: ٥٦]

القوة في الإسلام «٢»

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله، ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، سيد ولد آدم أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واشكروه على نعمه الظاهرة والباطنة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

أيها المسلمون:

ما زلنا وإياكم مع القوة وعناصر القوة، وقفنا مع العنصر الأول القوة في العقيدة والعنصر الثاني القوة في العبادة، أما العنصر الثالث القوة في الأخلاق والمعاملة، لقد فتحَ المسلمون الأوائِل بعضَ البلدان بقوّةِ الأخلاق دون أن تتحرَّك جيوشٌ أو تزَلزَل عُروش، وبعضُ المسلمين اليومَ جمَع من العلمِ فأوعَى وخلاَ من الخُلُق الأوفى.

القوّةُ في الأخلاق دليلُ رسوخِ الإيمان، فإلقاءُ السلام عبادةٌ، وعِيادة المريض عِبادة، وزِيارة الأخِ في الله عِبادة، وتبسُّمك في وجهِ أخيك عبادة.

عباد الله: من القوّة ثَبات الأخلاقِ ورُسوخ القِيَم في الفرَح والحزن والشِدّة والرخاء، مع الصّديقِ والعدوِّ والغنيِّ والفقير، قال تعالى: ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾. وكان رسول الله -ﷺ- إذا أرسل جيشا أو أرسل سرية للغزوَ يوصيهم ويقول لهم: «**لا يقتُلوا طِفلاً ولا امرأةً ولا شَيخًا كبيرًا**». [رواه أبو داود].

الله أكبر هذا هو عدل الإسلام، هذه هي رحمة الإسلام وأخلاق الإسلام.

المسلم عباد الله قويٌ في أخلاقه ومعاملاته وبيعه وشرائه.

وصدق النبي -ﷺ- القائل: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**». [رواه البخاري أنظر الفتح ٤/ ٣٢٨].

لقد فعَل مشرِكوا مكّةَ برسولِ الله ما فعلوا، آذَوه وحاصَروه، واتَّهموه وكذَّبوه، أخرجوه ثم شهَروا سيوفَهم ليقتلوه. وتمرّ السّنون، ويعود رسولُ الله -ﷺ- إلى مكّةَ فاتحًا متواضِعًا لله متذلِّلاً، ويقول لأولئكَ الذين فعَلوا ما فعلوا: «**ما تظنّون أني فاعلٌ بكم؟**» قالوا: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، قال: «**اذهبوا فأنتم الطّلَقاء**»[السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٧٨).]. «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير**»

إنّه انتصارِ المبادِئ ورسوخُ القِيَم والقوّة في الأخلاق، وحاشا رسولَ الله أن ينتقِمَ لنفسِه أو يثأرَ لشخصِه، وفي الحديث: «**وما انتقَمَ رسول الله لنفسِهِ إلاّ أن تنتَهَك حرمةُ الله فينتقمَ لله بها**». [رواه البخاري]. وفي عالمنا اليومَ من تنتفِخ أوداجُه وتحمرّ عيناه ويصيبه الأرَق والقلَق ولا يهدَأ روعُه حتى يثأرَ لنفسِه وينتقِمَ لشخصِه المبجَّل، لكنّه لا يحرِّك ساكنًا ولا يشعُر قلبه امتِعاظًا إذا انتُهِكت محارمُ الله.

عباد الله:

القوة ليست في الظلم والتجبر على الضعفاء.

القوة ليست في البغي والطغيان.

القوة أن تعفوا عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك.

رابعًا: ومن عناصر القوة: **القوّةُ في الإرادَةِ** بمغالبة الهوَى والاستعلاءِ على الشهوات، قال تعالى: ﴿**وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[ص: ٢٦]. وفي سيرةِ نوحٍ عليه السلام ترى قوّةَ العزيمة والإرادَةِ وهو يسير في دعوتِه ليلاً ونهارًا، سِرًّا وجهارًا، يمرّ عليه قومُه وهو يصنَع السفينة، فيُلقُون على سمعه عباراتِ التهكّم والسّخريةِ، فلم تهن عزيمتُه ولم تضعُف إرادَته؛ لأنه كان واثِقًا بنَصر الله، مطمئنًّا إلى وعدِه سبحانه، ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ*فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾[هود: ٣٨].

القوة في الاستعلاء على الشهوات، فالمؤمن قوي لأنه عبد لله وحده أما عبيد الدينار والدرهم فهم ضعفاء. أما عبيد النساء والشهوات فهم ضعفاء.

كم من قوي الجسم مفتول العضلات يضعف أمام امرأة ويُضيّع دينه وخلقه.

كم من مسلمين اليوم يضعفون أما مبلغ من المال؛ فيضيّعون دينهم بعرَضٍ من الدنيا قليل.

كم نرى من يضعف أما الصور والأفلام حتى أصبح الواحد منهم متعلق بها حتى وهو ساجد بين يدي الله يأتي الشيطان ويفتح دفتر الصور والأفلام القبيحة فيُضيّع على المسلم صلاته وخشوعه والله المستعان.

عباد الله:

الذلُّ قبيح، وفي قَبوله هَلاك، ولكن حينَ يوضَعُ في موضِعِه الصحيحِ يُعتَبر قوّةً وعِزًّا.

الذل والانكسار بين يدي الله مصدر العزة والكرامة والذل للوالدين وطاعتهما قال تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾[الإسراء: ٢٤].

العنصر الخامس من عناصر القوة القوّة في ضبطِ النفسِ والسّيطرة عليها، قال -ﷺ-: «**ليس الشّديدُ بالصّرعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسَه عند الغضب**»[رواه البخاري]، كظمُ الغيظِ قوّةٌ، قال تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ**﴾[آل عمران: ١٣٤].

وقد قال بعض أهل العلم في هذا الباب: إن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو، وإذا ملك الإنسان نفسه فقد قسر شيطانه.

ولهذا كان من أعظم المصائب الهدّامة العجز، والكسل، والجبن، والبخل، إنها صورٌ من صور الضعف والخور، وقد استعاذ منها جميعاً نبيكم محمد في دعاءٍ رفعه إلى مولاه، قائلاً: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، وأعوذ بك**

من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»[رواه أبو داود في أبواب الوتر، باب الاستعاذة (٤/ ٤١٢)]. إنها كلها تصب في مصاب الضعف، والانهزام النفسي والعملي.

أما استعادة الأحزان، والتحسر على ما فات، والتعلق بالماضي، وتكرار التمني بـ (ليت) والتحسر في الزفرات بـ (لو) فليس من خُلق المؤمن القوي؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان، وما عمله إلا الهواجس، والوساوس، فهو الوسواس الخناس. فلا التفات إلى الماضي إلا بقدر ما ينفع الحاضر ويفيد المستقبل.

عباد الله أهل الإيمان والصلاح والتقوى من الصحابة والتابعين كانت عظمتهم وقوتهم وعزتهم يوم اتصلوا بالواحد الأحد، بالقوي العزيز وعرفوا الله ﷻ، فاستمدوا القوة والعزة من اتصالهم وتعلقهم بالله عزوجل.

دخل سليمان بن عبد الملك الحرم، ومعه الوزراء، والأمراء، والحاشية، والجيش، فقال: مَن عالم مكة؟ قالوا: عطاء بن أبي رباح، قال: أروني عطاء هذا، فأشرف عليه، فوجده عبدًا، كأن رأسه زبيبة مشلولاً نصفه، أزرق العينين، مفلفل الشعر، لا يملك من الدنيا درهمًا ولا دينارًا، فقال سليمان: أأنت عطاء بن أبي رباح الذي طوّق ذكرك الدنيا؟ قال: يقولون ذلك، قال بماذا حصلت على هذا العلم، قال: بترك فراشي في المسجد الحرام ثلاثين سنة، ما خرجت منه، حتى تعلمت العلم، قال سليمان: يا أيها الحجاج لا يفتي في المناسك إلا عطاء.

وحدث أن اختلف سليمان وأبناؤه في مسألة من مسائل الحج، فقال: دلوني

على عطاء بن أبي رباح، فأخذوه إلى عطاء وهو في الحرم، والناس عليه كالغمام، فأراد أن يجتاز الصفوف، ويتقدم إليه وهو الخليفة، فقال عطاء: يا أمير المؤمنين، خذ مكانك، ولا تتقدم الناس؛ فإن الناس سبقوك إلى هذا المكان، فلما أتى دوره سأله المسألة فأجابه، فقال سليمان لأبنائه: يا أبنائي، عليكم بتقوى الله، والتفقه في الدين، فو الله ما ذللت في حياتي إلا لهذا العبد. لأن الله يرفع من يشاء بطاعته، وإن كان عبدًا حبشيًّا، لا مال ولا نسب، ويذل من يشاء بمعصيته، وإن كان ذا نسب وشرف.

جاء هشام بن عبد الملك الخليفة، أخو سليمان، فحج البيت الحرام، فلما كان في الطواف، رأى سالم بن عبد الله بن عمر، الزاهد العالم العارف، وهو يطوف، وحذاؤه في يديه، وعليه عمامة وثياب، لا تساوي ثلاثة عشر درهمًا، فقال له هشام: يا سالم: أتريد حاجة أقضيها لك اليوم، قال سالم: أما تستحي من الله، تعرض عليَّ الحوائج، وأنا في بيت من لا يُعْوِزُني إلى غيره، فاحمر وجه الخليفة، فلما خرج من الحرم، قال: هل تريد شيئًا؟ قال: أمِن حوائج الدنيا، أم من حوائج الآخرة؟ قال: أما حوائج الآخرة فلا أملكها، لكن من حوائج الدنيا، قال سالم: والله الذي لا. إله إلا هو، ما سألت حوائج الدنيا مِن الذي يملكها تبارك وتعالى، فكيف أسألها منك؟ ! .

إنها القوة من وسائل طلبا الاستغفار ، وقد قال هود عليه السلام لقومه آمرًا لهم بالاستغفار والبعد عن مزالق الخاطئين: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**﴾[هود: ٥٢].

القوة في البدن: إن تحصيلُ القوّةِ البدنيّة من أهدافِ الشارع الكريم، وفي سبيلِها

كان تحريمُ الخبائث من الطّعام والشراب، كالخمرِ والميتة ولحمِ الخنزير، وفي سبيلها كانت عِناية الإسلام برياضةِ البدَن، ومن أجلِ العافية حثَّ الإسلام على التداوِي وأمر بابتغاءِ العِلاج، قال -ﷺ-: «**تداووا فإنَّ الله لم يضَع داءً إلاّ وضع له شفاءً ـ أو قال: دواءً ـ إلاّ داءً واحدًا**»، قالوا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: «الهرَم»[رواه الترمذي]. وقد صارَع رسول الله رُكانةَ فصَرَعه وكان ذلك سببًا في إسلام رُكانة [أخرجه أبو داود في كتاب اللباس (٤٠٧٨)، والترمذي في أبواب اللباس] ، وثبَتَ أنه -ﷺ- رمَى بالقوسِ وطَعَن بالرّمح وتقلَّد السيفَ وركِب الخيل. كلُّ ذلك لتُسخَّر هذِه الأجسامُ في طاعةِ الله وتُشغَل بالخيرِ وتُبعَد عن كلِّ ما هو محرَّم.

ونهانا الإسلام عما يضر البدن ومن ذلك شرب الدخان فقد أجمع الأطباء على أنها سبب رئيس لمرض السرطان، وأفتى العلماء بحرمتها.

ومن ذلك الإكثار شُرب المنبهات التي تغير طبيعة الإنسان وتؤثر في قلبه، ولقد غُلّفت بأسماء جذابة مثل مشروبات الطاقة أو قوة الجبال.

فيا عبد الله لا تتحكم فيك شهواتك وعاداتك لتكن قوياً بطاعتك لله.

ومع قوّةِ الإيمان والأخلاقِ والجِسم يأتي العنصر الثالث القوّةُ في العلم والمعارِفِ والمِهَن، فالله ما أمر نبيه -ﷺ- أن يطلب الزيادة في المال أو الجاه أو السلطان بل يطلب الزيادة في العم وقل ربي زدني علما.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو

الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، السميع العليم، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان عليهم من ربهم الرحمة والتسليم، و بعد:

عباد الله:

ومن عناصر القوة: القوة في العلم والجدّ في مباشرةِ العمَل، وذلك باطِّراح الكَسَل جانِبًا والخمول ظِهرِيًّا، ذلك العمَل الذي ينمِّي الإنتاجَ ويزيد الثّروَة ويحفظ كراماتِ الأفراد ويصِل بالأمة إلى غايتِها من السّيادَةِ والقيادة.

وهناك أقوامٌ يقولون بأنّ التديّنَ من أسباب التخلُّف وأنّ الشريعةَ عامِل من عوامِلِ التأخُّر، وهذا جهلٌ بالدين وغَفلَة عن تعاليمه، ولقد كان رسولُ الله يستعيذ من كلِّ أسباب ومظاهرِ الضّعف فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجزِ والكسَل**»[رواه البخاري].

ومن عناصر القوة- أيها الناس- قوة العدة والعتاد والتدريب على فنون الجهاد باللسان والمال والعتاد والأنفس والتدرب على السلاح والرماية بالطرق المشروعة، وبذلك نرضي الرب تبارك وتعالى، ونذُبُّ عن ديننا، ونحمي أنفسنا وأهلينا وديارنا، وبذلك نضمن العز والنصر في معركة الحق مع الباطل، قال تعالى: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[الحج: ٤٠]، وعن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال:

سمعت رسول الله -ﷺ- وهو على المنبر يقول: «**وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مّن قُوَّةٍ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»[رواه مسلم في القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز (٢٦٦٤).]. والرمي يشمل كل رمي في كل زمان ومكان بحسبه؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام أطلق الرمي ولم يعين ما يرمى به، فيتحرك المسلم حسب ما يقتضيه الحال والمكان.

فاتقوا الله عباد الله، وامتثلوا لأمر الله ورسوله بإعداد القوة اللازمة لرد كيد أعداء الإسلام في نحورهم، ولتعلموا أن الإسلام ليس ترفًا ورخاوة أو لذة أو جمعًا لحطام الدنيا، وإنما الإسلام دين ودولة ومصحف وسيف ومحراب وميدان للجهاد في سبيل الله بكل وسائل القوة بعد التوكل والاعتماد على الله جل وعلا وإخلاص النية لله رب العالمين.

ومن عناصر القوة - أيها المسلمون - أن يكون المسلم صريحًا جريئًا يواجه الناس بقلبٍ مفتوح ومبادئ واضحة، فلا يُصانع ويُجامل على حساب الحق بما يغضّ من كرامته وكرامة إخوانه المسلمين، فلا يوهن فيهم ولا يفتُّ في عضدهم ولا يهين كرامتهم ولا يحطم معنوياتهم، ولا يحطّ من قدرهم، ولا يحيد عن هذه الصراحة أبدًا، فقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنبثق من هذا المبدأ، فعلى المسلم أن لا يتهيب كبيرًا، ولا يستحي من قريب أو بعيد ولا تأخذه في الله لومة لائم.

ولذلك كره الإسلام أن يضعف الإنسان أمام العُصاة من الكبراء فيناديهم بألفاظ التكريم، قال رسول الله -ﷺ-: «**إذا قال الرجل للمنافق: يا سيد فقد أغضب ربه**»[أخرجه الحاكم (٤/ ٣١١) وأبو نعيم في "أخبار أصبهان" (٢/ ١٩٨) والبيهقي في "الشعب" (٤٨٥٤) والخطيب

في "التاريخ" (٥/ ٤٥٤)وقال الحاكم: صحيح الإسناد"].

حج الحجّاج بن يوسف الثقفي مرة فمر بين مكة والمدينة فأُتي بغدائه فقال لحاجبه: انظر من يأكل معي، فذهب فإذا أعرابي نائم فضربه برجله وقال: أجب الأمير، فقام فلما دخل على الحجاج قال له: اغسل يديك ثم تغد معي، فقال: إنه دعاني من هو خير منك، قال: ومن؟ قال الله دعاني إلى الصوم فأجبته، قال: في هذا الحر الشديد؟ قال: نعم صمت ليوم هو أشد حراً منه، قال: فأفطر وصم غدا، قال: إن ضمنت لي البقاء لغد.

قال: ليس ذلك لي، قال: فكيف تسألني عاجلا بآجل لا تقدر عليه؟ قال: إن طعامنا طعام طيب، قال: لم تطيبه أنت ولا الطباخ، إنما طيبته العافية.

فمن الجريمة ـ عباد الله ـ أن تُنتهك حرمات الإسلام ثم لا يجد من ينتهكها من يحقِّره، بل يجد من يمتدحه ويبجله، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء**﴾[الحج: ١٨].

فاتقوا الله عباد الله، وخذوا بكل أسباب القوة لتتحقق لكم الحياة الطيبة العزيزة الكريمة في الدنيا وفي الآخرة.

عباد الله:

إنّه ينبغي أن لا يَنسَى العبد ربَّه مع مباشرةِ هذه الأسباب، فإنّ العوائقَ جمّة، والحاجة إلى عونِ الله وتوفيقِه في كلِّ لحظةٍ وآن، وفي محكمِ التنزيل: ﴿**لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ**﴾، قال ﷺ في دعاء نوحٍ بعد أن كذّبه قومه وبذلَ جميع الأسباب: ﴿**فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي**

﴿مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[القمر: ١٠]، وقال تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام في وصيّته لقومه بعد أن هدَّدَهم فرعونُ بقتلِ أولادهم: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الأعراف: ١٢٨]، وقال أيضًا عن وصية أخرى من موسَى لقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[يونس: ٨٤]، وقال تعالى عن يوسفَ عليه الصلاة والسلام عندما تعرَّض لفتنةِ النساء: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنْ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[يوسف: ٣٤].

من الفوائدِ المستنبَطَة من سورةِ يوسفَ عند هذه الآية ـ كما قال بعض العلماء ـ أنه ينبغي للعبدِ أن يلتجِئ إلى الله عند وجود أسباب المعصيَة ويتبرّأ من حولِه وقوّته؛ لقول يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنْ الْجَاهِلِينَ﴾[يوسف: ٣٣]أي: إن وكلتني إلى نفسي فليس لي من نفسي قدرةٌ، ولا أملِكُ لها ضرًّا ولا نفعًا إلا بحولِك وقوّتك، أنت المستعان، وعليك التّكلان، فلا تكلني إلى نفسي.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة

الراشدين.

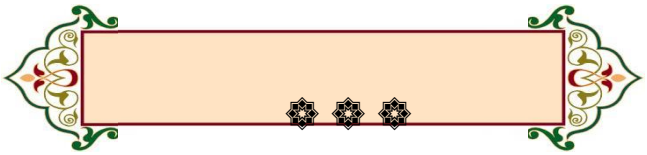

القوة في الإسلام «٣»

الحمد لله الذي يبدئ ويعيد، خلق السماوات والأرض بالحق وهو على كل شيء شهيد، جعل الشمس ضياء، والقمر نوراً، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، وهو العزيز الحميد.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ذو العرش المجيد، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، رفع الله به أعلام التوحيد -ﷺ-، وعلى آله وأصحابه أولي الرأي السديد، والعمل الرشيد، والتابعين لهم بإحسان من سائر العبيد، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم المزيد، أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله حق التقوى، وتمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، فالأعمار تُطوى، والأجيال تُفنى، والآجال تقضى، كم من الناس من عاش معنا بالأمس، عاجله أجله قبل اليوم، وكم من الناس من يعيش معنا اليوم لن يمهله أجله إلى الغد.

عباد الله وقفنا في الأسبوعين الماضيين مع القوة وعناصر القوة:

القوة في العقيدة.

القوة في العبادة.

القوة في الأخلاق والمعاملة.

القوة في ضبط النفس والتحكم في الشهوات.

القوة في العدة والعتاد.

القوة في العمل والحرفة.

القوة في البدن.

القوة في العمل والإنتاج.

قد يسأل سائل لماذا الكلام عن القوة وعناصرها وما صفات المؤمن القوي.

عباد الله: إن المؤمن القوي هو عماد الرسالات وروح النهضات ومحور الإصلاح، أعِدَّ ما شئت من معامل السلاح والذخيرة فلن تقتل الأسلحة إلا بالرجل المحارب القوي، وضَع ما شئت من مناهج للتعليم والتربية فلن يقوم المنهج إلا بالمعلم القوي الذي يقوم بتدريسه.

سقطت دول تملك السلاحَ بكل الأنواع لكنها لا تملك الرجال الأقوياء، وانتصرت مقاومة بأقوياء الرجال مع أنها لا تملك من السلاح إلا القليل، ذلك ما يقوله الواقع الذي لا ريب فيه.

إن القوة ليست بحد السلاح بقدر ما هي في قلب الجندي، والتربية ليست في صفحات الكتاب بقدر ما هي في روح المعلم.

أيها المسلمون، نتكلم عن القوة لأن الأمة اليوم أحوج ما تكون إلى زرع القوة

في أفرادها دينًا وعلمًا وخلقًا.

لان الأمة تحتاج اليوم إلى المؤمنين الأقوياء الذين يحملون في قلوبهم قوة نفسية، تحملهم على معالي الأمور وتبعدهم عن سفسافها، قوة تجعل أحدهم كبيرًا في صغره، غنيًا في فقره، قويًا في ضعفه، قوة تحمله على أن يعطي قبل أن يأخذ، وأن يؤدي واجبه قبل أن يطلب حقه، يعرف واجبه نحو نفسه ونحو ربه ونحو بيته ودينه وأمته.

نتكلم عن القوة لان الأمة تحتاج اليوم لأن ترى انتصارات أبنائها في ميادين النفوس قبل ميدان المعركة، فمن انهزم في ميدان النفوس سيخذلنا في ميدان المعركة، ومن خارت قواه أمام الشهوات فسيخذلنا في الجبهات، ومن هزم في ميدان "حيَّ على الصلاة" فسيُهزم قطعًا في ميدان "حي على الكفاح".

نريد أن يمتلئ المجتمع بالنفوس القوية والتي تتعالى على شهواتها، وتنتصر على رغباتها، وتتحول إلى نفوس مجندة لخدمة هذا الدين، وليس هذا فحسب، بل نريد القوة المتكاملة بجوار قوة الدين والنفس، نريد قوة البدن وصلابته، ونريد قوة العقل وحدّته، وقوة الأخلاق والمعاملة وقوة العلم والمعرفة.

سنقف وإياكم مع مصادر القوة عند المؤمن:

من أين يستمد المؤمن قوته؟ ما هي المصادر والمنابع التي يتغذى منها المسلم ليكون قوياً يواجه كل الصعاب.

المؤمن قوي لأنه مؤمن بخمسة أمور:

أولها الإيمان بالله:

المؤمن قوي، لأنه يستمد قوته من الله العلي الكبير، الذي يؤمن به، ويتوكل عليه، ويعتقد أنه معه حيث كان، وأنه ناصر المؤمنين، وخاذل المبطلين، ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[الأنفال: ٤٩] عزيز لا يذل من توكل عليه، حكيم لا يضيع من اعتصم بحكمته وتدبيره.

﴿ **إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٦٠]

قوة الإيمان والتوحيد تعني. . توحيد لا إشراك معه. . توحيد لله - ﷻ - في المقاصد والمشاعر، فلا خوف إلا منه، ولا رجاء إلا فيه، ولا توكل إلا عليه، ولا إنابة إلا إليه، ولا ثقة إلا به. .

يوم يتحقق كل مؤمن في ذات نفسه بذلك. . يوم يجرّد مقصده وغايته لله. . يوم لا يخشى أحد سواه. . يوم يكون ذلك في أبناء الأمة ومجتمعاتها فلن تستطيع قوةٌ في الأرض أن تغلبها، ولا أن تهزمها، ولا أن تنال منها شيئاً، مهما كان صغيراً أو كبيراً.

قوي الإيمان والتوحيد تراه متميّز يشمخ بإيمانه في غير كبر، ويستعلي بإسلامه دون عجب، ويظهر شخصيته، ويفتخر بانتسابه لأمة محمد -ﷺ-، لا يميل مع شرق، ولا يحاذي غرباً، ولا يكون مع النصارى في ولاء، ولا مع اليهود في استحذاء.

علِم قيصر الروم من أخبار جند المسلمين، وما يتحلون به من صدق الإيمان،

ورسوخ عقيدة، واسترخاص للنفوس في سبيل الله، وصبر وبذل للمُهَج والأرواح في سبيل الله، فأمر رجالاته أن إذا ظفروا بأسير من المسلمين أن يبقوا عليه حيًا ويأتوه به، وشاء الله -جل وعلا- أن يقع في الأسر عدد من المسلمين من بينهم صحابي جليل[1] قد أدرك معنى العبودية لله -عزَّ وجلَّ- فتخلص من رقِّ المخلوقين، فلا تراه إلا وهو يصوم النهار، ويتلو القرآن، يقوم في جنح الليل، ويستغفر بالأسحار، فقليل ما يهجع، راقبوه، فرأوا من تقاه وصلاحه وصلابته ورجولته وعقله ورزانته ما أدهشهم، ورأوا إن كسبوه لدينهم أنهم حققوا نصرًا عظيمًا، وكسبًا عظيما، ذكروه لقيصرهم فقال: ائتوني به، فجاءوا به ، نظر إليه قيصرهم فرأى فيه عزة واستعلاء المؤمن، ونجابة الأبطال، فبادره قائلا: إني أعرض عليك أمرًا، قال: ما هو؟ قال: أن تَتَنَصَّر، فإن فعلت خلَّيت سبيلك وأكرمت مثواك، فقال الأسير في أنفة وحزم: هيهات هيهات، إن الموت لأحب إليَّ ألف مرة مما تدعوني إليه، هيهات، أنى لقلوب خالطتها بشاشة الإيمان أن تعود إلى ظلمات الكفر والضلال مهما كانت الإغراءات، أنى لقلوب عرفت النور بحق أن تتدثر بالظلام مرة أخرى مهما كانت المغريات، يفشل العرض الأول من هذا القيصر ويتحطم على صخرة الإيمان؛ لأن هذا الرجل امتلأ قلبه بعبودية الله، فلم يبقَ في قلبه متسعٌ لغير تلك العبودية، بدأ بالإغراءات فقال قيصرهم: لو تنصرت شاطرتك ملكي، وقاسمتك سلطاني -يريدون أن يبيع دينه بعرض من الدنيا، يريدون أن يُصرف عن عبودية الله إلى رق المركز الذي طالما سال له لعاب كثير من الناس، فضيّعوا حقوق الله في سبيل نيله، وباعوا دينهم بعرضٍ من

(١) عبد الله بن حذافة السهمي

الدنيا قليل.

هربوا من الرقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ فَبُلُوا بِرِقِّ النَّفسِ والشَّيطانِ

فقال -رضي الله عنه- مبتسما في قيده: «اخسأ عدو الله، والذي لا إله إلا هو لو أعطيتني جميع ما تملك وما تملكه العرب والعجم على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما رضيت»، الله أكبر، يتحطم الإغراء بالمركز على صخور الإيمان الشُّمِّ في نفس ذلك الصحابي، لماذا؟ لأنه طالب جنة، ولا يمكن أن يغرى بما هو دون الجنة، وليس بأيديهم ما هو أعلى من الجنة ليغروه به، فأنى لهم أن يصلوا إليه، إنها سلعة الله، غالية جد غالية، مهرها بذل النفس والنفيس لمالكها الذي اشتراها من المؤمنين، لقد أقيمت للعرض في السوق لمن يريد، وقيل: هل من مزيد، فلم يرضَ لها بثمن دون حبل الوريد، عندها قال قيصرهم: ردوه إلى الأسْرِ، فردوه، وطلب من حاشيته وبطانته الاجتماع فورًا لتداول الرأي في طريق يكسب به هذا الفتى ليكون من جند النصارى -وحقًا إنه كسب- وبعد المداولة استقر الرأي على أن الشهوة طريق مجرب ناجح صُرِفَ به الكثير عن دينه ومبادئه وثوابته، فلكم رأوا ولكم رأينا ولكم نر من أُناس يعبدون الشهوة، فينفقون أموالهم في الشهوة المحرَّمة؛ لتكون عليهم حسرة وبئس الإنفاق، يسافرون وراء الشهوة المحرمة وبئس السفر والركب، يبيعون دينهم في سبيل الشهوة المحرمة وخسر البيع، والنار حُفّت بالشهوات وهم يتهافتون إليها وساء التهافت، عُبَّاد شهوة وبئس العبيد.

قال قيصرهم: ائتوني بأجمل فتاة في بلادي، فجيء بملكة جمال البلاد كما

يقولون، وأغراها بالأموال العظيمة إن استطاعت أن توقعه في الفاحشة؛ لأن الفاحشة طريق إلى ترك دينه، ولك أن تتصور أخي الحبيب، لك أن تتصور ما حال هذا الرجل، شاب في كامل فتوته ورجولته وشبابه وقوته وفوق ذلك غائب عن أهله منذ شهور، وهذا عامل يجعلهم يتفاءلون، أدخلوها عليه، فتجردت من ملابسها بعد تجردها من الحياء المترتب على التجرد من الإيمان، ولا ذنب بعد كفر، قامت تعرض نفسها أمامه، ثم ترتمي في أحضانه، فيهرب منها قائلا: معاذ الله، معاذ الله، فتطارده ويتجنبها، ويغمض عينيه؛ خشية أن يُفتن بها، ويقرأ القرآن ويستعيذ بالرحمن ولسان حاله ومقاله: رب القتل أحب إليَّ مما تدعوني إليه، وإلا تصرف عني كيدها أَصْبُ إليها وأكن من الجاهلين، تتابعه من جهة إلى جهة، وهو يستعيذ بالله الذي ما امتلأ قلبه إلا بعبوديته حتى يئست منه، نَقَلَة الأخبار على الباب من شياطين الإنس ينتظرون خبر فتنة ذلك الصحابي ووقوعه في الفاحشة لينقلوه إلى الآفاق شماتة في الإسلام وأهله، وإعلانًا لانتصارهم في صرفه عن دينه، ولعل غيره يتبعه في ذلك ﴿ **حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة: ٢١٧] وإذا بها تصيح أخرجوني أخرجوني، فأخرجوها قد تغير لونها، فشلت مهمتها، كرتها خاسرة عاهرة فاجرة، سألها مَن عند الباب من نقلة الأخبار: ما الذي حدث؟ هاتِ البشرى، يريدون أن يطيروا بالخبر، قالت: والله ما يدري أأنثى أنا أم ذكر، ووالله ما أدري أأدخلتموني على حجر أم على بشر. الله أكبر الإغراء بالشهوة يخجل أمام عبودية الله التي ما تركت متسعًا لغيرها في قلبه. كيف يرضى طالب الحور العين بعاهرة فاجرة، ولذة قد يعقبها الهاوية؟ كيف يرضى وقد وُعِدَ بمن لو اطلعت إحداهن إلى أهل الأرض لملأت ما بين

السماء والأرض ريحًا ولأضاءت ما بينهما؟ كيف ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها؟ كيف وقد وعد بمن ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة؟ كيف وقد وعد بمن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب؟ كيف وقد وعد بمن يكون عليها سبعون ثوبًا ينفذ البصر حتى يرى مخَّ ساقها من وراء اللحم والدم والعصب والعظم؟ كيف وقد وعد بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. خاب من باع باقيًا بفانٍ، خاب من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة. هنا يقول قيصرهم: إذًا أقتلك، انتقل الأمر إلى التهديد وأنى لمؤمن امتلأ قلبه بعبودية الله أن يخشى تهديدًا دون نار جهنم إنه هارب من النار وما هناك تهديد بما هو أعظم من النار؛ فكل تهديد دونها ولا شك.

قال -رضي الله عنه-: أنت وما تريد، افعل ما بدا لك، فأمر بصلبه، ثم أمر برميه بالسهام قرب يديه ورجليه وهو يعرض عليه أثناء ذلك أن يرتد عن دينه فيأبى، فيطلب منهم قيصرهم أن ينزلوه عن خشبة الصلب لينوع التهديد عليه؛ علّه أن يلين، فيدعو بقِدْرٍ عظيم ويصب فيها الزيت، ويوقد تحتها النار حتى أصبح الزيت يغلي، ثم يأتي بأسيرين من أسرى المسلمين فيلقيهما في القدر أمام عينيه، فإذا بلحمهما يتفتت وعظامهما تبدو عارية، منظر فظيع بشع وحشي، ظنوا أنهم به وصلوا إلى قلب هذا الصحابي وإلى بغيتهم منه، التفت القيصر إلى الصحابي وعرض عليه النصرانية فكان أشد إباء من ذي قبل، فلما يئس منه أمر به أن يلقى في القدر مع صاحبيه، فلما ذهب به دمعت عيناه، فظنوا أنه قد جزع وسيرتد عن دينه، فعرضوا عليه النصرانية مرة أخرى فأبى، قال: ويحك فما أبكاك؟ قال: أبكاني أن قلت في نفسي إنما هي نفس

تلقى الآن في هذا القدر فتذهب، وقد كنت أشتهي أن يكون لي بعدد ما في جسدي من شعر أنفس تلقى كلها في هذا القدر في سبيل الله، لا إله إلا الله، والله أكبر، ويا لها من قلوب امتلأت بخشية الله وعبودية الله! لم يترك فيها فراغًا لوعد أو وعيد دون الجنة أو الجحيم، عندها ردوه إلى الأسر ووضعوا معه خمرًا ولحم خنزير، ومنعوا عنه الطعام والشراب، وبقي ثلاثة أيام يراقب علَّه أن يأكل لحم الخنزير، أو يشرب من الخمر فلم يفعل، وانثنت عنقه - -رضي الله عنه- وأرضاه- مالت عنقه من شدة الجوع والعطش وأشرف على الهلاك، فأخرجوه وقالوا له: ما منعك أن تأكل أو تشرب، فقال: أما إن الضرورة قد أحلت لي ذلك، ولكن والذي لا إله إلا هو لقد كرهت أن يشمت أمثالكم بالإسلام وأهله، لسان حاله:

فَيَا أَيُّهَا الكونُ منِّي اسْتَمِعْ ... ويا أُذُنَ الدَّهرِ عنِّي افهمِي
فَإِنِّي صريحٌ كَمَا تَعْلَمِين ... حريصٌ عَلَى مَبدأ قِيِّم
ومَهْمَا تعدَدَتِ الواجهاتُ ... فَلَستُ إلَى وِجْهَةٍ أنْتَمِي
سِوَى قِبلة المُصطَفَى والمَقامِ ... لأَرْوِى الحُشَاشَةَ مِنْ زَمْزَمِ
وأُشهدُ مَنْ دبَّ فوقَ الثَرَى ... وتحتَ السَّمَا عزةَ المُسْلِمِ

يا لها من كلمة! كرهت أن يشمت أمثالكم بالإسلام وأهله، هذه الكلمة أهديها إلى أحبتنا الذين يخجلون من مواجهة الناس بالتزامهم، تجده يوم تلاحقه أعين السفهاء بالهمز والغمز واللمز يمشي على خجل وعلى استحياء، يتوارى من القوم ليشمت غيره به، إن حامل الحق يجبر غيره على أن يخجل منه أو يموت بغيظه فينتبه لذلك وليكن لسان الحال:

أَنَا مُسْلِمٌ وأقولُها مِلءَ الوَرَى وعقيدَتِي نورُ الحيَاةِ وَسُؤْدُدِي

كرهت أن يشمت أمثالكم بالإسلام وأهله، فقال له القيصر معجبًا بثباته ورشده وقوة عقله ولبِّه: هل لك أن تقبل رأسي فأخلي عنك، وكانوا لا يعيشون لأنفسهم، قال: وعن جميع أسرى المسلمين، قال: وعن جميعهم، فقال يسائل نفسه: عدو من أعداء الله أقبل رأسه ليخلي عن أسرى المسلمين لئلا يُقتلوا، لا ضير في ذلك، فقبله فأطلق له الأسرى وأجازه بثلاثين ألف دينار وثلاثين وصيفًا وثلاثين وصيفة كما روى [ابن عائد] في السير [للذهبي]، وقدم على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وأرضاه- بأسرى المسلمين ثابتًا كالطود الشامخ، يطأ بأخمصه الثرى، وهامه توازي الثريَّا، وأخبر عمر الخبر، فسُرَّ أعظم سرور، ثم قام فقبَّل رأسه وقال: حقٌّ على كل مسلم أن يُقبّل رأسك، إنها النفوس المؤمنة يوم تجاهد في سبيل الله، لا في سبيل قول، ولا في سبيل نفس، ولا في سبيل وطن، بل في سبيل الله؛ لتحقيق منهج الله في أرض الله في سبيل الله؛ لتنفيذ شرع الله على عباد الله، ليس لها لنفسها حظ، بل كلها لله الواحد القهار. لا يخافون لومة لائم. وفيم الخوف من لوم الناس وقد ضمنوا حب وعبودية رب الناس؟

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدّله وعلّمه البيان وبه فضّله وأمدّه بلسان يترجم به عما حواه و عقَلَه، والصلاة والسلام على من أرسله ربه و أكرمه وبالقرآن الكريم أرسله، وعلى آله وأصحابه ما كبّر عبد وهلّله.

وبعد

يذكرنا موقف عبد الله بن حذافة السهمي بكثير من مواقف الصحابة – رضوان الله عليهم – بل ومن أجيال الأمة الإسلامية كلها، يوم ثبتوا ثبات الجبال الرواسي رغم ضعفهم، ورغم قلة حيلتهم، ورغم انعدام قوتهم. كما وقفت ثلاثة آلاف من أصحاب رسول الله –ﷺ– في يوم مؤته في مواجهة مائة ألف – وقيل مائتين – أنى لهم أن يقفوا! وكيف يمكن أن يثبتوا؟ ولما رأى المسلمون جموع الروم – الجموع الكبيرة – نظروا في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله –ﷺ– نخبره بعدد عدونا، فقام ابن رواحه فقال: والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون، وما نقاتل الناس بعدد ولا عدة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما الشهادة، فما تأخر واحد منهم.

والتقى الجيشان والتحم الصفان وسقطت رؤوس وطارت جماجم وسالت دماء ونادى المنادي أن انتصر المسلمون. الله اكبر إنها معادلة الإيمان التي فقدنا كثيراً من حقائقها ودلائلها. قتل من الروم آلاف وقتل من المسلمين اثنا عشر رجل.

عباد الله: ما هي القوة التي نعتمد عليها؟ أليست قوة الله! من هو الذي نلجأ إليه في السراء والضراء؟ أهو الله؟ ! من الذي نفضي إليه بهمومنا وغمومنا؛ هل هو الله

أم ما زالت أحوال أمتنا ودولنا تبحث عن سند هنا أو هناك، وتبحث عن قوة من هذا أو ذاك؟ ! ونسوا الاستعانة بالله ﴿ **اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ** ﴾ [الأعراف: ١٢٨] أين هي الاستعانة بالله في واقع حياتنا اليومية البسيطة؟ عندما نمرض هل تتحقق استعانتنا بالله؟ ! عندما يُضَيَّق في رزقنا ويقتر علينا في عيشنا بقدر الله هل نستعين بالله؟ هل القلوب مملوءة بهذا اليقين: أن الأمر كله لله، وأن الخير والشر والضر والنفع إنما هو بيد الله؟ !

عباد الله:

اسعد الناس في هذه الدنيا أقوى الناس اتصالا بالله.

أقوى الناس في مواجهة الفتن والمصائب إنهم أكثر الناس إيمانا بالله وتحديا له وتعظيما له.

عناصر التوحيد والإيمان بالله كما جاء بها القرآن الكريم، ثلاثة ذكرتها سورة الأنعام، وهى سورة عنيت بتثبيت أصول التوحيد:

أولها: ألا تبغي غير الله رباً: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾[الأنعام: ١٦٤].

وثانيها: ألا تتخذ غير الله ولياً: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ** ﴾ [الأنعام: ١٤].

وثالثها: ألا تبتغي غير الله حكماً: ﴿ **أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً** ﴾[الأنعام: ١١٤]

معنى العنصر الأول: «ألا تبتغي غير الله رباً»: إبطال الأرباب المزعومة التي اتخذها الناس قديماً وحديثاً، في الشرق والغرب، سواء أكانت من الحجر والشجر أم من الفضة والتبر، أم من الشمس والقمر، أم من الجن والبشر، معنى العنصر الأول هو رفض لكل الأرباب إلا الله وإعلان الثورة على المتألهين في الأرض المستكبرين بغير الحق، الذين أرادوا أن يتخذوا عباد الله عبيداً لهم وخولاً. «لا إله إلا الله» هو الإعلان العام لتحرير الإنسان من الخضوع والعبودية، إلا لخالقه وبارئه. فلا يجوز أن تعنو الوجوه، أو تطاطئ الرؤوس، أو تنخفض الجباه، أو تخشع القلوب، إلا للقيوم وكانت كلمة: «ربنا الله» إعلاناً بالعصيان والتمرد على كل جبار في الأرض. ومن أجل هذا تعرض موسى للتهديد بالقتل، وقام رجل مؤمن من آل فرعون يدافع عنه ويقول: ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾[غافر: ٢٨] ومن أجل ذلك تعرض رسولنا -ﷺ- وأصحابه للاضطهاد والأذى والإخراج من الديار والأموال﴿ **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** ﴾[الحج: ٤٠].

ومعنى العنصر الثاني «ألا تتخذ غير الله ولياً»: رفض الولاء لغير الله وحزبه، فليس من التوحيد أن يزعم زاعم أن ربه هو الله، وربما لأعداء الله. قال تعالى: ﴿ **لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ**﴾[آل عمران: ٢٨].

إن حقيقة التوحيد لمن آمن بأن ربه هو الله: أن يخلص ولاءه له ولمن أمر الله تعالى بموالاته، كما قال سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**

فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦]

ومعنى العنصر الثالث: «ألا تبغي غير الله حكماً»: رفض الخضوع لكل حكم غير حكم الله، وكل أمر غير أمر الله، وكل نظام غير نظام الله، وكل قانون غير شرع الله، وكل وضع أو عرف أو تقليد أو منهج أو فكرة أو قيمة لم يأذن بها الله.

وليس بمجتمع مسلم ذلك الذي تموت فيه أخلاق القوة، فتحيا وتنمو أخلاق الضعف. وليس بمجتمع مسلم ذلك الذي يشيع فيه خلق القسوة على الضعفاء، والخضوع للأقوياء.

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي تضمر فيه تقوى الله، ومراقبته تعالى، والخوف من حسابه، فنرى الناس يتصرفون وكأنما هم آلهة أنفسهم، وينطلقون وكأنما ليس هناك حساب ينتظرهم، وإنما هم في غفلة معرضون، وفي غمرة ساهون.

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي يسوده التواكل والعجز والسلبية، في مواجهة الأمور وإلقاء الأوزار على كاهل الأقدار.

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي يُهان فيه الصالحون، ويُكرم الفاسقون، ويُكرم أهل الفجور، ويؤخر أهل القوى.

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي يظلم فيه المحق، ويحابى فيه المبطل، ويقال فيه للمضروب: لا تصرخ، ولا يقال للضارب: كف يدك.

ليس بمجتمع مسلم ذلك الذي تفسد فيه الذمم، وتشترى فيه الضمائر، ويقضى

فيه كل أمر بالرشوة.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

الفرج بعد الشدة

الحمد لله رب العالمين والعافية للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله، ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله، واقتدوا بسنة نبيكم، يجعل لكم ربكم من كل كربٍ فرجاً، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً.

عباد الله:

الحياة الدنيا مليئة بالمحن والمتاعب والبلايا والشدائد والنكبات، إن صفت يوماً كدرت أياماً، وإن أضحكت ساعة أبكت أياماً، لا تدوم على حال: ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾.

فقرٌ وغنى، عافية وبلاء، صحةٌ ومرض، عزٌ وذل، فهذا مصاب بالعلل والأسقام، وذاك مصاب بعقوق الأبناء، وهذا مصاب بسوء خلق زوجته وسوء عشرتها، وتلك مصابة بزوج سيء الأخلاق، فظ الخلق، سيء العشرة، وثالث مصاب بكساد تجارته وسوء صحبه الجيران، وهكذا إلى نهاية سلسلة الآلام التي لا تقف عند حد، ولا يحصيها عد.

ولا يزيل هذه الآلام، ويكشف هذه الكروب إلا الله علام الغيوب الذي يجيب المضطر إذا دعاه، والمسلم حاله في البأساء الصبر والإنابة إلى الله، ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**﴾[النمل: ٦٢]، فمن الذي يجيب المضطر إذا رفع يديه إلى الله ﷻ يطلب منه المدد؟ ومن الذي يجيب المسلم في لحظات الكرب والشدة وهو يهتف داعياً ربه منيباً إليه طالباً منه العون وتفريج تلك الهموم؟ وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**﴾، فهذا العسر معرفة، واليسر نكرة في الآية، ولذلك قال ابن عيينة -رحمه الله-[1] : أي: إن مع ذلك اليسر يسراً آخر، كقوله سبحانه: ﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ**﴾[التوبة: ٥٢]، رَوَى الإِمَامُ أَحمدُ مِنْ حَدِيثِ أَبي رزين عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-: « **ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه** »، إن العباد إذا نزلت بهم الشدائد فإنهم سرعان ما يقنطون، والله ﷻ جعل لكل أجل كتاباً، وجعل لهذا الهم نهاية ولهذا الكرب تفريجاً، ولكن العباد يستعجلون، والله تعالى يعجب ويضحك من قنوطهم ومن قرب فرجه.

يا أيها الإنسان: بعد الجوع شبع، وبعد الظمإ ريّ، وبعد السهر نوم، وبعد المرض عافية، سوف يصل الغائب، ويهتدي الضالّ، ويفكّ العاني، وينقشع الظلام ﴿ **فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ** ﴾[المائدة: ٥٢]. إذا رأيت الحبل يشتد ويشتد، فاعلم

---

(١)سُفْيَان بن عُيَيْنَة(١٠٧ - ١٩٨ هـ = ٧٢٥ - ٨١٤ م)
سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدّث الحرم المكيّ. من الموالي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، قال الشافعيّ: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. وكان أعور. وحج سبعين سنة. قال علي بن حرب: كنت أحبّ أنّ لي جارية في غنج ابن عيينة إذا حدّث! له (الجامع) في الحديث، وكتاب في (التفسير).

أنه سوف ينقطع.

مع الدمعة بسمة، ومع الخوف أمن، ومع الفزع سكينة.

فلا تضق ذرعاً، فمن المحال دوام الحال، وأفضل العبادة انتظار الفرج، الأيام دول، والدهر قُلّب، والليالي حبالى، والغيب مستور، والحكيم كل يوم هو في شأن، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، وإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً.

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح -رضي الله عنهما- يقول: [مهما ينزل بامرئٍ من شدة يجعل الله له بعدها فرجاً، وإنه لن يغلب عسر يسرين].

وتأمل في أحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؛ فهذا يوسف لما صار في غيابة الجب، ثم في ضيق السجن، كرب على كرب، وهَمٌ على هَمْ، فماذا حصل بعد ذلك؟ تداركته رحمة الله عز وجل، وهي قريب من المحسنين، فأخرجته من ظلامة الجب ومن ضيق السجن إلى سعة الملك وبسط في العيش، وجمع بأهله في حال الرخاء بعد الشدة.

وهذا يعقوب عليه الصلاة والسلام عمي من كثرة البكاء والحزن على فقد ولديه، ﴿**وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[يوسف: ٨٤]، ثم تداركته رحمة الله بعد سنوات من الشدة ومفارقة الأولاد الأحباء إلى نفسه، فجمعه الله سبحانه بهما على غير ميعاد منهم.

وهذا يونس في بطن الحوت، لما نزل به البلاء دعا ربه في مكان ما دعا به أحد من الناس ربه، في جوف البطن المظلم، فاستجاب الله دعاءه.

وهذه سيرة نبينا محمد -ﷺ- فيها شدائد وأهوال وكرب وهموم، ومنها شدائد المواطن التي نصره الله بها في معاركه ضد المشركين.

وهذه عائشة رضي الله عنها، لما نزل بها من الضيق الشديد عندما اتهمها المنافقون، وردد ذلك معهم الذين لم يعوا الأمور من المسلمين ولم يتثبتوا فيها، فاتهموا تلك المسلمة العفيفة زوجة رسول الله -ﷺ- بأنها قد وقعت في الفاحشة، وهي منها بريئة، فصار رسول الله -ﷺ- يدخل عليها فلا يكلمها ولا يتلطف معها كما كان يتلطف، واشتعلت الفتنة من حولها، والألسن تلوك في عرضها، وهي البريئة، حتى بكت الدموع أياماً متواصلة، حتى انقطع دمعها وكان لا يأتيها النوم، ثم جاءها فرج الله بتبرئتها من فوق السبع الطباق، وفرَّج الله همها وأذهب كربها.

وهؤلاء الثلاثة من أصحاب رسول الله -ﷺ- الذين خُلِّفوا فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، بعد أن عزلهم الرسول -ﷺ- عن المجتمع المسلم، ونهى الناس عن تكليمهم، فصاروا غرباء في أهلهم وذويهم، حتى وصل الحال إلى أن أمر زوجاتهم بفراقهم، فصاروا كالمبتوتين من المدينة الذين لا يتصل بهم أحد ولا يكلمهم أحد، حتى نزل فرج الله ﷻ بالتوبة عليهم، فوسَّع الله عليهم بعد أن كانوا في ضيق، ونفس عنهم بعد أن كانوا في كربة.

وهؤلاء الثلاثة من بني إسرائيل الذين دخلوا في الغار، فانطبقت عليهم الصخرة، ثم فرج الله ﷻ عليهم بعد أن أيقنوا بالموت والهلاك.

وهذا إبراهيم و سارة نجاهما الله من الجبار الكافر الذي كان يريد أن يأخذهما.

عن الحسن قال خرج النبي -ﷺ- يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك ويقول: «**لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين، فإن مع العسر يسراً، إن مع السر يسراً**»[رواه ابن جرير]، وجاء مالك الأشجعي إلى رسول الله - -ﷺ- فقال له: أسر ابني عوف فقال له رسول الله: «أرسل إليه أن رسول الله يأمرك بأن تكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله»، وكانوا قد شدوه بالقد (قيد من جلد) فسقط القد عنه، فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل، فإذا بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بهم، فأتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه إلا ينادي بالباب، فقال أبوه: عوف ورب الكعبة. فقالت أمه: اسوأتاه، وعوف كيف يقدم لما هو فيه من القد؟ فأستبقا الباب والخادم فإذا هو عوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقص على أبيه أمره وأمر الأبل، فقال أبوه: حتى آتي رسول الله فأسأله عنها فأتى رسول الله، فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل فقال له رسول الله: «**اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بمالك**» ونزل قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً**﴾ [الطلاق: ٢][رواه ابن أبي حاتم].

قال بعض العلماء: رأيت امرأة بالبادية، وقد جاء البَرَدُ فذهب بزرعها، فجاء الناس يعزّونها فرفعت رأسها إلى السماء، وقالت: اللهم أنت المأمول لأَحسنِ الخلف وبيدك التعويض مما تلف، فافعل بنا ما أنت أهله، فإنّ أرزاقنا عليك وآمالنا مصروفة إليك.

قال: فلم أبرح حتى مرّ رجل من الأَجِلاء، فحدّث بما كان؛ فوهب لها خمسمائة دينار، فأجاب الله دعوتها وفرَّج في الحين كربتها.

أضجع أحد الجزارين كبشا ليذبحه بالقيروان، فتخبط بين يديه وأفلت منه وذهب، فقام الجزار يطلبه وجعل يمشي إلى أن دخل إلى خربة، فإذا فيها رجل مذبوح يتشحط في دمه ففزع وخرج هاربا. وإذا صاحب الشرطة والرجالة عندهم خبر القتيل، وجعلوا يطلبون خبر القاتل والمقتول، فأصابوا الجزار وبيده السكين وهو ملوَّث بالدم والرجل مقتول في الخربة، فقبضوه وحملوه إلى السلطان فقال له السلطان: أنت قتلت الرجل؟ قال: نعم! فما زالوا يستنطقونه وهو يعترف اعترافا لا إشكال فيه، فأمر به السلطان ليُقتل فأُخرج للقتل، واجتمعت الأمم ليبصروا قتله، فلما هموا بقتله اندفع رجل من حلقة المجتمعين وقال: يا قوم لا تقتلوه فأنا قاتل القتيل! فقُبض وحُمل إلى السلطان فاعترف وقال: أنا قتلته! فقال السلطان قد كنت معافى من هذا فما حملك على الاعتراف؟ فقال: رأيت هذا الرجل يُقتل ظلما فكرهت أن ألقى الله بدم رجلين، فأمر به السلطان فقُتل ثم قال للرجل الأول: يا أيها الرجل ما دعاك إلى الاعتراف بالقتل وأنت بريء؟ فقال الرجل: فما حيلتي رجل مقتول في الخربة وأخذوني وأنا خارج من الخربة وبيدي سكين ملطخة بالدم، فإن أنكرت فمن يقبلني وإن اعتذرت فمن يعذرني؟ فخلَّى سبيله وانصرف مكرَّما.

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاره واطمأنت ... وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ... ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك خوف ... يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت ... فموصول بها فرج قريب

دخل النبي -ﷺ- -المسجد ذات يوم، فرأى فيه رجلاً من الأنصار، يقال له أبو أمامة، فقال له النبي -ﷺ-: إني أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة، قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله! قال -ﷺ-: أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟ قلت: بلى يا رسول الله! قال: **قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله تعالى همي وغمي وقضى عني ديني.** .

عن أصبغ بن زيد قال: مكثت أنا ومن عندي ثلاثاً لم نطعم شيئا -أي: من الجوع- فخرجت إلي ابنتي الصغيرة وقالت: يا أبتِ! الجوع! -تشكو الجوع- قال: فأتيت الميضأة، فتوضأت وصليت ركعتين، وأُلهمت دعاء دعوت به، في آخره: اللهم افتح عليّ منك رزقاً لا تجعل لأحد عليّ فيه مِنَّةً، ولا لك عليّ في الآخرة فيه تبعة، برحمتك يا أرحم الراحمين! ثم انصرفت إلى البيت، فإذا بابنتي الكبيرة وقد قامت إليّ وقالت: يا أبه! جاء رجل يقول إنّه عمي بهذه الصرة من الدراهم وبحمّال عليه دقيق، وحمّال عليه من كل شيء في السوق، وقال: أقرئوا أخي السلام وقولوا له: إذا احتجت إلى شيء فادع بهذا الدعاء، تأتك حاجتك.

قال أصبغ بن زيد: والله ما كان لي أخ قط، ولا أعرف من كان هذا القائل، ولكن الله على كل شيء قدير.

كان رجلٌ من العباد مع أهله في الصحراء في جهة البادية، وكان عابداً قانتاً منيباً

ذاكراً لله، قال: فانقطعت المياه المجاورة لنا وذهبت ألتمس ماء لأهلي، فوجدت أن الغدير قد جفّ، فعدت إليهم ثم التمسنا الماء يمنة ويسرة فلم نجد ولو قطرة وأدركَنا الظمأُ، واحتاج أطفالي إلى الماء، فتذكرت رب العزة سبحانه القريب المجيب، فقمت فتيممت واستقبلت القبلة وصليت ركعتين، ثم رفعت يديّ وبكيت وسالت دموعي وسألت الله بإلحاح وتذكرت قوله: ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾[النمل: ٦٢]قال: والله ما هو إلا أن قمت من مقامي وليس في السماء من سحاب ولا غيم، وإذا بسحابة قد توسّطت مكاني ومنزلي في الصحراء، واحتكمت على المكان ثم أنزلت ماءها، فامتلأت الغدران من حولنا وعن يميننا وعن يسارنا فشربنا واغتسلنا وتوضأنا وحمدنا الله ﷻ، ثم ارتحلت قليلاً خلف هذا المكان، وإذا الجدب والقحط، فعلمت أن الله ساقها لي بدعائي، فحمدت الله ﷻ: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [الشورى: ٢٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، يفضل بعض عباده على بعض، والله ذو الفضل العظيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل الخلق، وأعظمهم شكراً لله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين، و بعد:

عباد الله:

يقول أبو الدرداء -رضي الله عنه-: «**إن من شأنه سبحانه أن يغفر ذنباً، ويكشف كرباً، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين**». ويقول الضحاك بن قيس -رضي الله عنه-: «**اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، إن يونس عليه السلام كان يذكر الله تعالى، فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾**[الصافات: ١٤٣].

وعليك بالاستغفار فإنه سبب لتفريج الكروب وإزالة الغموم، قال تعالى: **﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾**[هود: ٦١].

وجاء عن المعصوم -صلى الله عليه وسلم-قوله: «**من لزم الاستغفار - أو أكثر من الاستغفار - جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب**»[رواه أبو داود وضعفه الألباني].

وروي أنه: بينما رجل جالس، وهو يعبث بالحصى، ويحذف بها، إذ رجعت

حصاة منها، فصارت في أذنه، فجهد بكل حيلة، فلم يقدر على إخراجها، فبقيت الحصاة في أذنه تؤلمه، فبينما هو ذات يوم جالس إذ سمع قارئاً يقرأ: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾. فقال: يا رب، أنت المجيب، وأنا المضطر، فاكشف ضر ما أنا فيه، فنزلت الحصاة من أذنه. وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي.

وكم يُسرٍ أتى من بعد عسرٍ ... وفرّج لوعة القلب الشدي
وكم همٍّ تُساء به صباحاً ... فتعقبه المسرة بالعشي
إذا ضاقت بك الأسباب يوماً ... فثق بالواحد الأحد العلي

وهذه الشدائد التي تصيب المسلم في حياته بشتى الصور، لا بد لها من فوائد، فإن للشدائد فوائد بالرغم من أنها مكروهة للنفس، فمنها: أولاً: أن الله يكفر بها الخطايا، ويرفع بها الدرجات، ويدفع الكربُ المكروبَ إلى التوبة، ويلجأ إلى الله وينكسر بين يديه، وهذا الانكسار أحب إلى الله من كثير من العبادات؛ أن ينكسر المخلوق لله سبحانه، وأن يشعر بذله أمام الله، وأن يشعر بحاجته إلى ربه وافتقاره إلى خالقه، فينقطع إلى الخالق ويترك المخلوق، وهنا يتحقق التوحيد ويتنقى من أدران الشرك بأنواعها، ويخلص الإنسان لربه.

وقد علّمنا رسول الله -ﷺ- أدعية إذا نزل بنا الكرب واشتدت الأمور وضاقت علينا الأرض بما رحبت، فقد جاء في الصحيحين عن ابن عباس -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- كان يقول عند الكرب: « **لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم** » وكان -ﷺ- إذا حزبه أمر قال: « **يا حي يا قيوم! برحمتك أستغيث** » وقال

عليه السلام لـ أسماء بنت عميس: « **ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب: الله ربي لا أشرك به شيئا** »، وقال عليه الصلاة السلام: «**من أصابه هم أو غم أو سقم أو شدة فقال: الله ربي لا شريك له، كشف ذلك عنه** »وعن أبي بكرة أن رسول الله -ﷺ- قال: « **دعوة المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت** »، وقال رسول الله -ﷺ-: « **دعوة ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لا يدعو بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له** ».

وهذه ألطاف الله قد تخفى على الكثيرين.

اللهم فرج كرباتنا، وفرج همومنا وأحزاننا، اللهم واجعل لنا من رحمتك نصيباً موفورا، اللهم واجعلنا من عبادك الصلحاء الأتقياء الأخفياء.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

رمضان والجهاد

الحمد لله أنزل الذي على عبده الكتاب ليكون للناس موعظة وذكرى، وجعله للمتقين زيادة في إيمانهم وذخراً، وللظالمين زيادة في ضلالهم وخسراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الحمد في الأولى والأخرى، وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ورسوله المجتبى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله حق التقوى ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وتزودوا من دينكم فإن خير الزاد التقوى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

عباد الله:

اعلموا أن شهر رمضان لم يكن عند سلفنا شهر صيام وقيام ودعاء واعتكاف وعمرة وإكثار من العبادة فحسب بل كان شهر جهاد ومجاهدة ودعوة وعمل فقد سطّروا فيه أعظم الانتصارات، وأكبر الفتوحات وإن ليالي هذا الشهر وأيامه تحكي ما حققته الأمة من انتصارات.

إن الناظر إلى حياة سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يرى كيف كان تسابقهم

إلى ساحات الوغى وميادين الجهاد، وكيف كان تنافسهم على القتال في سبيل الله والتسابق إلى نيل الشهادة، لأنهم يعلمون أن الشهادة في سبيل الله أقرب طريق إلى الجنة.

فها هو سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- يقول: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟ ! فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله ويستصغرني ويردني، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعُرض على رسول الله فاستصغره، فقال: «ارجع»، فبكى عمير، ثم قبله رسول الله في صفوف المجاهدين.

وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما عُرض على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوة أحد استصغره فرده، فقال عبد الله: فبت شر ليلة، ما رأيت مثلها قط في السهر والحزن والبكاء.

وهذا خالد بن الوليد وهو الفارس في ميدان الحرب، يخوض بسيفه غمار المعارك، ويتمنى الشهادة، ويتعطش للقاء ربه في بطولة فذة وفداء عظيم فيقول في آخر لحظاته: (لقد شهدت زهاء مائة معركة، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء).

فيا عباد الله:

كان شهر رمضان عند أسلافنا شهر الجهاد والفتوحات الإسلامية، ففي السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة كانت غزوة بدر الكبرى، و التي هي شامة في جبين التاريخ.

إذا قامت الدنيا تعد مفاخراً فتاريخنا الوضاح من بدرٍ ابتدأ

فقد فرّق الله في هذه الغزوة بين الحق والباطل فنصر الله دينه وأظهر نبيه وأطاح رؤوس الكفر والشر والظلم والطغيان قال الله تعالى﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [آل عمران: ١٢٣]، غزوة بدر التي أثبتت أن قوة الإيمان هي أقوى سلاح، وعدونا لا يخشى في ميدان المعركة الأسلحة التي بأيدينا، ولكنه يخشى من سلاح الإيمان الذي يستمد قوته من الله؛ لأنه السلاح الذي لا يقهر واليقين الذي لا يغلب، ولا أدلَّ على ذلك في عصرنا الحاضر من تسخير الأعداء كل قواهم لاغتيال الشيخ أحمد ياسين، وهو القعيد الذي لا يحمل طلقةً، وليس لذلك من سبب إلا الخوف من مخازن أسلحة الإيمان، فالمصلحون المخلصون، والدعاة الصادقون يحملون بين جنباتهم مصانع إيمان تبث إنتاجها في قلوب من حولهم، ويمدون به كل جبان رعديد، فإذا به في الميدان أسدٌ هصورٌ ولئن مات أحمد ياسين فقد ربى مئات الياسين.

عباد الله: إن من أبرز سمات معركة بدر أنه تلاشت فيها العصبيات والقبليات وعبية الجاهلية، فلم يكن المسلمون ينتصرون لقبيلة أو لون أو جنسية، بل كانوا ينصرون الإسلام وأهله ويواجهون المشركين أعداء الله بقلوب متوحدة متآخية متآلفة.

غزوة بدر الذي دعا فيها النبي -ﷺ- الصحابة وقال لهم (**قوموا إلى جنة**

عرضها السماوات والأرض، فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال نعم، قال: بخ بخ، فقال عليه السلام: **ما يحملك على قول بخ بخ؟** قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: **فإنك من أهلها**، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهم ثم قال: لئن أنا حييت حتى أكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فرمى بها، ثم قاتل حتى قتل.

فيا أيها الصائمون قولوا بخٍ بخٍ فالجنة في رمضان أبوابها الثمانية مفتحة لكم، فلا تشغلنكم الدنيا بشهواتها ولذاتها عن جنة عرضها السماوات والأرض فالجنة تتزين والحور العين تتزين للقوام فشمروا.

وفي الحادي والعشرين من شهر رمضان في سنة ثمان للهجرة فُتحت مكة، وبفتحها دُكّت معاقل الشرك وأُزيلت رايات الكفر ومعالم الوثنية، إذ خرج -ﷺ- بعشرة آلاف من أصحابه يريد غزو قريش لما نقضوا صلح الحديبية فدخل مكة مؤزراً منصوراً دخلها خاضعاً لربه مطأطئا رأسه تواضعاً وتعظيماً لله رب العالمين وطاف بالبيت وكان على البيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً فجعل -ﷺ- يطعنها بقوس في يده ويقول: ﴿ **جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** ﴾ [الإسراء: ٨١]، وبهذا الفتح العظيم فتح مكة سقطت دولة الأوثان وارتفعت رايات الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

وفي السنة الرابع عشرة من الهجرة من شهر رمضان أيضًا كانت معركة القادسية بقيادة الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-.

هذه المعركة التي تذكرنا بالخنساء وما أدراكم ما لخنساء تلك المرأة التي مات أخوها صخر مقتولاً قبل أن تُسلم فظلت ترثيه سنين وتحزن عليه وتبكي عليه حتى تحدّث الناس عنها وعن قصائدها حُزناً على أخيها صخر، فلما أسلمت ودخلت في دين الله روى المؤرخون أنها شهدت حرب القادسية بين المسلمين والفرس تحت راية القائد سعد بن أبي وقاص، وكان معها بنوها الأربعة، فجلست إليهم في ليلة من الليالي الحاسمة تعظهم وتحثهم على القتال والثبات، وكان من قولها لهم: «أي بني، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيّرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، والله تعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران: ٢٠٠]، فإذا أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائكم مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فتيمّموا وطيسها، وجالدوا رئيسها؛ تظفروا بالغُنم في دار الخلد».

فلما أصبحوا باشروا القتال بقلوب فتية وأنوف حمية، إذا فتر أحدهم ذكّره إخوته وصية الأم العجوز، فزأر كالليث، وانطلق كالسهم، وانقضّ كالصاعقة، ونزل لقضاء الله على أعداء الله، وظلوا كذلك حتى استشهدوا واحدًا بعد واحد.

وبلغ الأمَّ نعيُ الأربعة الأبطال في يوم واحد، فلم تلطم خدًا، ولم تشقّ جيبًا، ولكنها استقبلت النبأ بإيمان الصابرين وصبر المؤمنين وقالت: «**الحمد لله الذي**

شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».

القادسية التي تُذكرنا بأحد قادتها ربعي بن عامر أرسل رستم إلى سعد - رضي الله عنه - أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا، فأرسل إليهم ربعي بن عامر، فحبسه الحراس على جسر نهر الفرات خشيةً منه، وبعد مشاورات سمحوا له وقد جلس رستم على سرير من ذهب خالص وبُسط أمامه النمارق والوسائد، فأقبل ربعي على فرسه وسيفُه في خرقة، فنزل وربط فرسه بوسادتين شقّهما وأدخل الحبل فيهما، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: لم آتكم، أنتم دعوتموني، فإن أبيتم إلا كما أريد وإلاّ رجعت، فأخبروا رستم فقال: ائذنوا له، فأقبل ربعي يتوكأ على رمحه ويزج النمارق والبسط، فلم يدع نمرقًا ولا بساطًا إلا أفسده، فلما دنا من رستم جلس على الأرض وركز رمحه، وقال: إنّا لا نستحب القعود على زينتكم، فسأله الترجمان: ما جاء بكم؟ فقال ربعي كلماته الخالدة التي سطرها التاريخ منذ ذلك الزمان وحتى وقتنا هذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وأجيال المسلمين يرددون كلمات ربعي حيث قال: «**الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر**»، فقال رستم: قد سمعنا قولكم، فهل لكم أن تؤخّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟ فقال ربعي: وإن مما سنّ لنا رسول الله أن لا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل.

القادسية تذكرنا يوم فتح المسلمون البيت الأبيض مقر الرئاسة الكسروية فوجدوا فيه سجادة عظيمة سبعين ذراعا في سبعين ذراعا، منسوجة بالجوهر

والياقوت والأحجار الكريمة، فما كان منهم إلا أن قطعوها وحملوها على الجمال وأرسلوها إلى عمر ليقسمها في فقراء المدينة، وأرسلوا معها سيف كسرى وجواهره لم ينقص منها جوهرة واحدة ولم يسقط منها ياقوتة واحدة. فلما رءآه عمر -رضي الله عنه- أخذ يبكي ويقول: لو كان هذا خيرا ما زوي عن رسول الله وعن أبي بكر. ثم التفت إلى علي -رضي الله عنه- فقال: «**إن قوما أدوا هذا لأمناء**». قال علي -رضي الله عنه-: «عففت فعفّوا يا أمير المؤمنين».

نعم إذا صلح الراعي صلحت الرعية إذا عف الرأس عف الجسد.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، جعل أمة محمد خير العالمين، وأرسل إليهم سيد ولد آدم أجمعين، وجعله خاتم النبيين.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، و بعد:

عباد الله:

وفي عام ٢٣٢هـ كانت معركة من أعظم المعارك الإسلامية الرمضانية التي

تسببت فيها امرأة، نعم امرأة. . صرخت وقالت: «**وا معتصماه**»، فحرّكت نخوة الخليفة العباسي المعتصم فحرك جيشا عرمرما من قصر الخلافة في بغداد إلى منطقة عمورية في تركيا، وقال: « **لا يغشى راسي ماء من جنابة حتى انصر هذه المرأة**»، إنها صرخة أثّرت في المعتصم، واليوم كم هي الصرخات من الثكالى في فلسطين وسوريا وكشمير وبورما والفلبين و غيرها من دول المسلمين الله المستعان.

وفي سنة خمسمائة وأربع وثمانين من الهجرة في شهر رمضان كان صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - قد حقق الانتصارات تلو الانتصارات على الصليبيين، وانتصر عليهم في حطين، كم يتألم المسلم وهو يسمع اسم صلاح الدين وحطين ويرى ذل المسلمين، صلاح الدين الذي قال كيف اضحك والأقصى أسير في يد الصليبيين.

نتكلم عن القائد صلاح الدين والأمة تبحث عن قيادات تعيد لها مجدها وعزتها.

صلاح الدين يوم حطين أمر الجيش أن لا يقاتلوا إلا بعد أن يصعد خطباء المنابر في عموم الدولة الإسلامية، فيدعون لهذا الجيش المظفر، ثم نزع خوذة رأسه وعفر وجهه. بالتراب داعيا ربه بالنصر والتمكين، وانتصر المسلمون وباع مسلم الصليبي بدينار لماذا؟ قال ليرى العالم ذل الصليبين وعز الإسلام.

انظروا كيف كان المسلمين يوم أعزوا دينهم.

وفي سنة ستمائة وثمانية وخمسين هجرية في شهر رمضان ينتصر المسلمون على التتار في موقعة عين جالوت ٢٥ رمضان بقيادة القائد الإسلامي قطز والظاهر

بيبرس. وكان الشعار: وا إسلاماه وا إسلاماه

وما فتئ الزمان يدور حتى مضى بالمجد قوم آخرون
وآلِمنِي وآلم كلَّ حر سؤال الدهر: أين المسلمون؟ !

وفي العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م تقدم الجنود المصريون والمسلمون فعبروا قناة السويس ودمروا وهم يهللون ويكبرون خط بارليف أقوى خط دفاع عرفه العالم في القرن العشرين وقبل أن تتدخل القوى الكبرى ويتوقف القتال لصالح اليهود كان الجنود المسلمون قد اجتاحوا مواقع بني إسرائيل في معظم سيناء، ولئن كانت معركة العاشر من رمضان هذه لم تؤت إلا على قدر الجهد المبذول والنيات الدافعة فإن ذلك يؤكد أن القدس والمسجد الأقصى لن يحررها سوى جيش من المؤمنين الصادقين الذين لا يريدون إلا الموت في سبيل الله لا القومية المنتنة ولا الوطنية الزائفة.

هذه صور حية من صور التضحية والفداء والبطولة والجهاد سطرها لنا التاريخ عن أجدادنا وأسلافنا بأحرف من نور، ﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾[النور: ٤٠].

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فأين المسلمون واليهود يدنسون المسجد الأقصى وينتهكون الحرمات في أرض فلسطين؟ ! أين المسلمون وديار الإسلام وثغورها تضيع الواحدة تلو

الأخرى؟ ! أعجزت الأرض أن تنجب واحدًا كخالد بن الوليد أو كصلاح الدين الأيوبي؟ ! هل عقمت أرحام المسلمين أن تنجب بطلاً مغوارًا كسعد بن أبي وقاص أو كأبي عبيدة بن عامر الجراح؟ ! لكن أيها المسلمون ابشروا فالخير قائم وقادم.

ومن المبشرات ظهور قادة بذلوا أنفسهم لدين الله ولخدمة قضايا الأمة، قيادات تذكرنا بصلاح الدين وقطز وعمر المختار .

عباد الله:

ها هي العشر الأواخر من رمضان على الأبواب، ها هي خلاصة رمضان، و زبدة رمضان، و تاج رمضان قد اقتربت، هذه العشر فيها ليلة خير من ألف شهر ليلة تتنزل الملائكة ومعهم جبريل. . ونحن في الأسواق إلا من رحم الله

فيا ترى كيف نستقبلها؟

لقد كان رسول الله -ﷺ- يخص هذه العشر الأواخر بعدة أعمال.

ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها : « **كان رسول الله إذا دخلت العشر شد مئزره و أحيا ليله و أيقظ أهله** » و لفظ لمسلم: « **أحيا ليله و أيقظ أهله** » و لها عند مسلم: « **كان رسول الله يجتهد في العشر ما لا يجتهد غي غيرها** »، و لها في الصحيحين: « **أن النبي -ﷺ- كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله** ».

إن قيام الليل هو دأب الصالحين و شعار المتقين و تاج الزاهدين، كم وردت فيه من آيات و أحاديث، وكم ذكرت فيه من فضائل، فكيف إذا كان في رمضان، وفي العشر الأواخر منه حيث ليلة القدر.

ماذا فاته من فاته قيام الليل، أما لكم همة تنافسون الحسن و الفضيل و سفيان.

أما لكم همة كهمة التابعي أبي إدريس الخولاني حيث كان يقوم حتى تتورم قدماها و يقول: و الله لننافسن أصحاب محمد على محمد -ﷺ- و حتى يعلموا أنهم خلفوا ورآهم رجالا.

يا أيه الراقد كم ترقد قم يا حبيبا قد دنا الموعد
و خذ من الليل و ساعاته حظّا إذا هجع الرقد
من نام حتى ينقي ليله لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوي الألباب أهل التقى قنطرة العرض لكم موعد

آه يا مسكين لو رأيت أقواما تركوا لذيذ النوم ففازوا بليلة القدر فهم في قبورهم منعمين، وغدا بين الحور العين جذلين، وفي الجنان مخلدين.

آه لو رأيت من ترك قيام الليل، فهو في قبره ما بين حسرة و لوعة.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

❁ ❁ ❁

رمضان والصدقة

الحمد لله العظيم السلطان، الكريم المنان، أحمده سبحانه وأشكره على سوابغ الإنعام.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، صاحب الإحسان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه الأئمة الأبرار، أما بعد:

فأوصيكم ـ أيها الناس ـ ونفسي بتقوى الله سبحانه، إذ بها تشرف النفس، ويثقل الميزان، ويعلو القدر، ويعظم الجاه، ويحصل القرب من الباري جلّ شأنه، قال تعالى: ان الله مع الذين اتقوا ـ فإن العاقبة للتقوى، ﴿**فَاتَّقُواْ اللَّهَ يا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة: ١٠٠].

أيها المسلمون:

إنكم في شهر لا يشبهُه شهر، عظيم الأمر، جليل القدر، هو من أشرف أوقات الدهر، فضائله لا تحصى، ومحامده لا تُستقصى، يكفي هذا الشهر منزلة أن فيه انزل القران.

شهرٌ يفوق على الشهور بليلةٍ ... من ألف شهر فُضّلت تفضيلا

طوبى لعبدٍ صح فيه صيامه ... ودعا المهيمن بكرة وأصيلا

وبليلـــه قـــد قـــام يختـــم ورده متبـــــتلاً لإلهـــــه تبتـــــيلا

عباد الله:

ألا وإن من أعظم ما أوجب الله عليكم في أموالكم الزكاة التي هي ثالث أركان الإسلام وقرينة الصلاة في محكم القرآن، وجاء في منعها والبخل بها الوعيد بالنيران. قال الله ﷻ: ﴿ **وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [آل عمران: ١٨٠]

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ** ﴾ [التوبة: ٣٥]

وقال النبي -ﷺ- في تفسير الآية الأولى: «**من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع، وهي الحية الخالي رأسها من الشعر لكثرة سمها، مُثَّل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه، يعني شدقيه، يقول أنا مالك أنا كنزك**» [رواه البخاري].

وقال في تفسير الآية الثانية: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أُعيدت، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة

حتى يقضي بين العباد»[رواه مسلم]. وحق المال هو الزكاة. وهنا رسالة للنساء من ملكت في ذهبها النصاب وهو خمسة وثمانون جرام.

أيها المسلمون:

إنه والله لا يُحمى على الذهب والفضة في نارٍ كنار الدنيا، إنما يُحمى عليها في نار أعظم من نار الدنيا كلها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا.

أيها المسلمون:

إنه إذا أُحمي عليها لا يكوى بها طرف من الجسم متطرف، وإنما يكوى بها الجسم من كل ناحية الجباه من الأمام والجنوب من الجوانب والظهور من الخلف.

هذه الأعضاء التي كانت تعرض عن الفقراء والمساكين وتتكبر عليهم.

أيها المسلمون: إنه إذا كوي به الجسم لا تترك حتى تبرد وتزول حرارتها، ولكنها كلما بردت أعيدت فأحميت.

أيها المسلمون: إن هذا العذاب ليس في يوم ولا في شهر ولا في سنة: ولكن في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. يا الله أجرنا من النار واجعلنا من عتقاء هذا الشهر من النار.

فيا عباد الله يا من آمنوا بالله ورسوله، يا من صدّقوا بالقرآن وصدقوا بالسنة، ما قيمة الأموال التي تبخلون بزكاتها، وما فائدتها، إنها تكون نقمة عليكم وثمرتها لغيركم.

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها
كم من مدائن في الآفاق قد بُنيت أمست خراباً وأفنى الموت أهليها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها فالموت لا شك يُفنينا ويُفنيها

عباد الله:

أدوا الزكاة طيبةً بها نفوسكم. أخوة الإسلام وأحباب الحبيب المصطفى محمد -ﷺ-:

والله الذي لا إله إلا هو لو أخرج الأغنياء زكاة أموالهم ووزّعت في مصارفها المحددة في الشرع لما رأينا فقيراً ولا مسكيناً ولا جائعاً ولا عارياً ولا محروماً، ولا رأينا المتسولين بالمئات بل بالآلاف هذا ما ظهر أما العفيفين والعفيفات في البيوت.

وهذا ما حدث في عصر الخليفة العادل الإمام الزاهد عمر بن عبد العزيز، يوم أن أُقيم العدل في الأمة، ويوم أن عرف الأغنياء حق الله في أموالهم، جمعت الزكاة في عصر عمر بن عبد العزيز، وأراد عمر أن يوزعها فلم يجد فقيراً واحداً في أنحاء الأمة، عقمت أرحام الدولة العمرية أن تلد فقيراً أو مسكيناً! وكان عمر بن عبد العزيز يحكم أُمة تمتد حدودها من الصين شرقاً إلى باريس غرباً، ومن حدود سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً، ومع ذلك جمع عمر بن عبد العزيز الزكاة فلم يجد مسكيناً واحداً يأخذ الزكاة، وفاض المال في بيت مال المسلمين، فأصدر عمر بن عبد العزيز أمراً بأداء الديون وقال: "اقضوا عن الغارمين"، فقضى ديون الناس ومازال المال فائضاً، فأصدر أمراً بإعتاق العبيد من بيت مال المسلمين، فأعتق العبيد

ومازال المال فائضاً في خزينة الدولة، فأصدر أمراً بتزويج الشباب وقال: «**أيّما شاب أراد أن يتزوج فزواجه على حساب بيت مال المسلمين** »تزوج الشباب وبقي المال.

وإن من أعظم أنواع البر في هذا الشهر المبارك التقرب إلى الله ﷻ بإخراج المال طيبةً به نفوسنا، كريمةً به أيدينا، نرجو ثوابه عند الله ﷻ، وقد علمنا يقينًا أن هذه النفقة سببٌ لدخول الجنة، ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ*آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ*كَانُوا قَلِيلاً مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ*وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ*وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ [الذاريات: ١٥-١٩]، وهذه النفقة كذلك سببٌ في دخولك ـ يا عبد الله ـ في زمرة المتقين، ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ*الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [البقرة: ٢-٣]، كما أنّ هذه النفقة سببٌ لمضاعفة الحسنات، ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [البقرة: ٢٤٥].

هذه النفقة ـ أيها المسلمون ـ هي سبيل الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، الذين كانوا يجودون بما آتاهم الله من فضله، يبتغون ما عند الله من ثوابٍ وأجر، وكان نبيكم - -ﷺ- أجود ما يكون في رمضان.

وقد اقتدى به أصحابه رضوان الله عليهم، يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: دعانا رسول الله إلى الصدقة، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكرٍ إن سبقته يومًا قطّ، فجئت بنصف مالي إلى رسول الله، فقال ليَ: «**وما تركت لأهلك يا عمر؟** » قلت: تركت لهم مثله، فجاء أبو بكرٍ -رضي الله عنه- بماله كله، فقال له: «**وما**

تركت لأهلك؟ » قال: تركت لهم اللهَ ورسوله.

أبو طلحة الأنصاري -رضي الله عنه- كان عنده بيرحاء: بستانٌ من أطيب بساتين المدينة وأكثرها ثمرًا، لما نزل قول الله عز وجل: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢]، جاء -رضي الله عنه- فقال: يا رسول الله، قد أنزل الله ما قد علمتَ، وليس لي مالٌ أطيبَ من هذا البستان، هو لك يا رسول الله، ضعه حيث شئت مما أراك الله أدخره عند الله، فقال: «**بخٍ بخٍ، ذاك مالٌ رابح، اجعله في أهلك وقرابتك**»، فجعله أبو طلحة -رضي الله عنه- في أرحامه وبني عمومته، قسم عليهم ذلك البستان، يرجو ما عند الله من فضلٍ وإحسان.

أيها المسلمون:

الصدقة تطفئُ غضب الربِّ كما يطفئُ الماءُ النار، والصدقةُ أجرها مُضاعف وثوابها عظيم، ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦١]، في الصدقة تزكيةٌ للمال، وتطهيرٌ للبدن، ووقايةٌ لمصارع السوء، في الصدقة دفعٌ للبلايا والمصائب والأمراض، كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**داووا مرضاكم بالصدقة، حصنوا أموالكم بالزكاة**». وعن عمرو بنِ عوفٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله: «**إنّ صدقةَ المسلم تزيد في العمُر، وتمنَع ميتةَ السوء، ويذهِب الله بها الكبرَ والفقر**» [رواه الطبرانيّ].

بين أيدينا علاج مبارك نافع ننساه ألا و هو الصدقة.

الصدقة ـ أيها المسلمون عباد الله ـ تنفع العبد يوم القيامة، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم، الصدقة ترفع العبد عند الله درجاتٍ، وتخفف عليه الحساب، وتثقل الميزان، وتكون سبب جوازه على الصراط، كما أنّ الصدقة سببٌ لظل العبد في ذلك اليوم العبوس القمطرير في ظل عرش الله ﷻ يوم لا ظلَّ إلا ظله، ذاك الذي تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه.

أيها المسلمون، ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٨]، قد يقول قائل: أنا لا أملك إلا ما أقتات أنا وأهلي وعيالي، قال رسول الله -ﷺ-: «**سبق درهم مائة ألف درهم**»، **قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «رجلٌ عنده درهمان فتصدق بأحدهما، فقد تصدق بنصف ماله، ورجلٌ عنده مالٌ كثير فأخذ من عرضه مائة ألفٍ فأنفقها في سبيل الله**» [رواه النسائي وهو في صحيح الجامع].

رُبَّ عملٍ قليلٍ تُكثِّره النية، قد تتصدق بتمرة فيقيك الله بها حر النار، وفي الصحيحين من حديث عدي بن حاتم يقول -ﷺ-: «**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشقِّ تمرة**»، تمرة تتقرب بها إلى الله ﷻ، ترجو ثوابه وتخاف عقابه، تنفقها في سبيل الله، تطعم بها جائعًا، تهديها إلى مسكين، تدخل بها السرور على مسلمٍ، هيَ عند الله ﷻ بميزانٍ عظيم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر

الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، واشهد أن سيدنا محمد -ﷺ- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع أخوانه.

وبعد عباد الله:

يا أيها الغني، اعلم بأن الصدقة سببٌ لبركة المال ونمائه، سببٌ لحصول النعمة وتجددها من الله ﷻ، فما استُجلبتْ نعم الله ﷻ ولا استُدفِعت نقمه بمثل الإحسان إلى عباده. والصدقة تدفع ميتة السوء، واعلم ـ أيها الغني ـ أنَّ الصدقة لا تنقص المال، روى الترمذي ـ وقال: حسن صحيح ـ وأحمد وبعضه في مسلم، عن أبي كبشة الأنماري -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ-: «**ثلاثةٌ أقسم عليهنّ، وأحدثكم بحديثٍ فاحفظوه: ما نقصَ مالٌ من صدقة، وما ظُلِم عبدٌ مظلمةً فعفا إلا زاده الله بها عزًا، وما فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر**». أنفق ـ أيها الغني ـ ولا تخش من ذي العرش إقلالاً، واعلم بأنّ الله ﷻ خزائنه ملأى، لا يغيضها عطاء، ويده سحّاء الليل والنهار، وهو أكرم الأكرمين وأجود الأجودين.

ويا أيها الفقير، يا من قُدِر عليك رزقك، اعلم أنّ رسول الله - -ﷺ- قال: «**من أنفق عدل تمرةٍ من كسبٍ طيبٍ ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ فإن الله يقبلها بيمينه ويربيها لصاحبه، كما يربي أحدكم فَلْوه ـ أي: كما يربي أحدكم حملاً أو فرسًا أو دابةً في بيته ـ حتى تكون مثل الجبال**»، هذه التمرة التي تصدقت بها ترجو بها وجه الله

ﷻ، حالك كحال الصالحين الذين قالوا: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾، هذه التمرة تجدها يوم القيامة حسناتٍ كأمثال الجبال.

فالبدار البدار **أيها المسلمون**، أدخلوا السرور على أرحامكم وعلى إخوانكم، وأنفقوا من أموالكم، واعلموا أن الله ﷻ يخلف عليكم بخيرٍ مما أنفقتم، ﴿**وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ: ٣٩].

أيها المسلمون، اعلموا أنّ إمساك المال والشح به لا يزيده، بل يمحقه ويُذهب بركته، وينزل غضب الربّ على صاحبه، فإنّ الله ﷻ نعى على أقوامٍ فقال: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ *فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]، وقد ذمَّ الله ﷻ في القرآن من يبخلون بهذا المال، وأثنى على من يوقَ شحَّ نفسه، ووصفه بالفلاح.

يا مسلم، يا عبدَ الله، قد تُطعم أخاك على جوعٍ فيجزيك الله من جنس عملك، يطعمك يوم القيامة من ثمار الجنة، قد تكسو مسلمًا على عُريٍ فيكسوك الله ﷻ من حُلل الجنة، تقدم مالك تبتغي به وجه الله ﷻ يقيك الله به حرَّ النار يوم القيامة.

إن بعض الناس لا تجود نفسه بمال ولا يقبل أن ينفق، بل ربما يعدّ المنفقين والمتصدقين ممن خفت عقولهم وذهبت أحلامهم، حتى إذا أصاب ذلك المسكين داءٌ عضال ومرضٌ فتّاك وعاين الموت بدأ ينفق ماله يمنةً ويسرة، بعدما ذهبت نضرة

الشباب وبهجة الدنيا، شتان شتان بين هذا وذاك، شتان شتان بين من أنفق حال شبابه وقوته، حال حضور ذهنه واكتمال رغبته في هذه الدنيا، وبين هذا الذي تصدق بعدما عاين الموت، بعدما أيقن أنّ الدنيا قد ولت مدبرة وأن الآخرة قد جاءت مقبلة بدأ يتصدق، شتان شتان بينهما. وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة**»[رواه أحمد في المسند].

أيها المسلمون، خير من توجهون إليه صدقاتكم أرحامكم، قراباتكم، فإنَّ رسول الله -ﷺ- قال: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقةٌ وصلة**»، **ثم ثانيًا: من كان عفيفًا متعففًا ذا عيال لا يسأل الناس ولا يتَفَطّن له فيُتصدق عليه، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ يَحْسَبُهُمْ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ﴾** [البقرة: ٢٧٣].

عباد الله:

قال عمر بن العزيز - رحمه الله -: «**الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه**».

الصّدقة لها معنًى واسع، فهِي تشمَل عملَ كلّ خير، إرشادُ الضالّ، إماطةُ الأذى، العدلُ بين اثنين، التبسّم في وجه أخيك المسلم، غرسُ شجرة، تعليمُ علمٍ نافع، إصلاح ذات البَين، الكلمَة الطيّبة صدقة، قال رسول الله -ﷺ-: «**على كلّ مسلمٍ صدقة**»، **فقالوا: يا نبيَّ الله، فمن لم يجد؟ قال: «يعمل بيده فينفَع نفسَه ويتصدّق»**،

قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «يعين ذا الحاجةِ الملهوف»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فليعمَل بالمعروف، وليمسك عن الشرّ، فإنّها له صدقة» [أخرجه البخاري].

وأخيرًا: رحل النصف الأول من رمضان، ولئن كنا فرطنا فلا ينفع ذواتنا بكاء ولا عويل، وما بقي أكثر مما فات، فلنُزِ الله من أنفسنا خيرًا، فالله الله أن يتكرر شريط التهاون، وأن تستمر دواعي الكسل، فلقيا الشهر غير مؤكدة، ورحيل الإنسان مُنتظر، والخسارة مهما كانت بسيطة ضعيفة فهي في ميزان الرجال قبيحة كبيرة.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

❁ ❁ ❁

ما أثارك بعد الموت؟ -١

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى.

وأشهد أن لا إله إلا الله، أخلو بها وحدي، لا إله إلا الله أذكر بها ربي ، لا إله إلّا الله أدخل بها قبري، لا إله إلّا الله يُغفر بها ذنبي، لا إله إلّا الله ألقى بها ربّي، اللهم اختم لنا برضاك واسعدنا بتقواك واجعلنا نخشاك كأننا نراك ، الله عافنا واعف عنا، ومن كل شرٍّ سلمنا وعلى الإيمان الكامل توفنا وأنت راضٍ عنا.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي المصطفى، والخليل المجتبى، بعثه ربه بالحق والهدى،

صلوا على المختار فهو شفيعكم فـي يوم يبعث كل طفل أشيبا
صلوا على من ظللته غمامة والجذع حن له وأفصحت الضبا
صلوا على من تدخلون بهديه دار السلام وتبلغون المطلبا
صلوا عليه وسلموا وترحموا تردوا بها حوض الكرامة مشربا

اللهم أحينا على سنته، وأدخلنا مدخله وأوردنا حوضه، وارزقنا شفاعته، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، ومن سن سنته واتبع هداه ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله، فتقوى الله هي المنجية من المهلكات، المخرجة من الظلمات، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[الأنفال: ٢٩].

عباد الله:

إننا في هذه الحياة الدنيا مسافرين إلي الله –تعالى–، مسافرين إلى الدار الآخرة، وانَّ مدة سفرنا هي الأعمار السنين الأيام والليالي التي كتبها الله–تعالى- لنا ، فلا نزال نطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي السفر، ويقول الناس : مات فلان .

السنة شجرة، الشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، وأنفاس العباد ثمراتها؛ فطوبى لمن كانت ثمراته طيبة.

أخلاق الكريم أخلاق الحبيب:

هب أنك مت الآن؟ تخيل أن هذه الليلة ستكون في عالم الآخرة من أهل البرزخ.

أخبرني ما هي أثارك بعد الموت؟ ما هي الأعمال المباركة التي ستُنسب إليك بعد موتك، وستنال عليها أجراً عظيماً؟

ما هي آثارك الخيَّرة في هذه الحياة؟ من لا أثر له لا وجود له، من لا أثر له لا حياة له.

قل لي بربك ماذا سيخسر مجتمعك بعد رحيلك؟

ماذا ستخسر عائلتك وأصدقاؤك بعد موتك؟

ما هي الكلمات التي تتوقع أن يصفك الناس بها بعد موتك؟ ما آثارك بعد موتك؟ هناك من يموت ويُغلق كتاب أعماله، وهناك من يموت ومازال له أعمالٌ صالحة وحسنات جارية. وهناك من يموت وله أعمالٌ سيئة تدر عليه سيئات إلى قبره.

هل فكرت في أن تترك أثرًا طيبًا بين الناس؟.. فمن لم يجعل لنفسه أثرًا قبل مماته ينطبق عليه قول الرافعي: "إذا لم تزد شيئًا على الحياة كنت زائدًا عليها"، فالهدهد وهو مجرد طائر ترك أثرا في الحياة ومازالت تتلى علينا آياتٌ بينات حتى قيام الساعة بسبب موقفه من قوم سبأ الذين كانوا يسجدون للشمس من دون الله، فقال : ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النمل:٢٥]

فهل ينقصك شيء عنه أو أضعف منه، أو أقل منه عقلا حتى لا تترك أثرا طيبا بين الناس سواء في حياتك أو بعد مماتك؟.

وإذا لم تغر من الهدهد فغر من النملة التي ذكرها الله في قرآنه بسبب لباقتها وايجابيتها، خشيتها على قومها من أن يحطمهم جيش سليمان (عليه السلام)، فقالت : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ **[النمل:١٨]**

أخي أيها المبارك: اترك أثرًا جميلًا في قلوب الآخرين لأن الأثر الطيب سيبقى؟؟

جميلٌ أن يكون لك أثرٌ طيب، وذكرى طيبة، وبقايا عالقة من عطر حروفك وصدقها.

رائعٌ أن تترك أثراً حولك بطريقة كلامك، ضحكاتك، وأخلاقك.

إن الأثر الطيب الذي يتركه المرء بعد وفاته هو عمْرٌ آخر، فبه يُذكر، فيثنى عليه، فيكون سبباً لعفو الله تعالى عنه، ويدعى له بسببه فيقبل الله تعالى دعوة الداعين ويكرمه بحسن المآب، ويعمل الناس بعلمه أو ما تركه من خير لوجه الله فيجري له ثواب العاملين، كأنه لم يزل يعيش ويعمل.

أيها المؤمن: كُن في الدنيا كعابر سبيل، واترك وراءك كل أثرٍ جميل، فما نحن في الدنيا إلا ضيوف وما على الضيوف إلا الرحيل.

دع **الأماكن** تذكرك بخير ولو نسيك البشر، **في** كل خطوة اجعلها ذكراً **لله** تشهد لك، ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزلزلة: ٤]

أخي الحبيب: ما آثارك بعد موتك

هل سألت نفسك ما هو المشروع الذي تريد أن يستمر في صحيفة عملك بعد وفاتك؟

تأمل مشوار حياتك كم مسلماً علّمت ؟ كم تائهاً عن طريق الخير هديت؟

كم كلمةً طيبة غرست؟ كم حديثاً عن النبي -ﷺ- بلّغت؟

كم مرةٍ بين متخاصمين أصلحت؟

قد مات قوم وما ماتت مكارمُهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

يقول جل وعلا على لسان إبراهيم عليه السلام:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ*وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[الشعراء: ٨٤-٨٣].

يقول الطبري في تفسيرها: "واجعل لي في الناس ذكراً جميلاً، وثناءً حسناً، باقياً فيمن يجيء من القرون بعدي".

من الناس من يستمر ذكره بعد موته شهرا ثم يُنسى، ومنهم من يستمر ذكره وحسناته عاماً كاملا، ومنهم عشر سنوات، ومنهم من يستمر إلى ما شاء الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[يس: ١٢].

وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ أي في حياتهم وَآثَارَهُمْ أي ما تركوه بعد وفاتهم. ونظيره قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾[الانفطار: ٥]، وقوله: ﴿يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[القيامة: ١٣]، ومن آثارك ما تكتب في وسائل التواصل من خير، أو شر، ومن آثارك خطواتك إلى المساجد والى حلقات العلم، ومن آثارك خطواتك إلى صلة رحم أو فعل خير، أو نصرة مظلوم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، واشهد أن سيدنا محمد -ﷺ- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع أخوانه.

وبعد

أخي الحبيب:

تأمل إلى هذه النماذج التي اصطحبت معها في قبرها آثار تتقرب به إلى ربها لتنال بها الشفاعة.

سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- آخر العشرة المبشرين بالجنة موتا أوصى أن يكون شاهد إثباته جُبة صوف كان لقي فيها المشركين يوم بدر فأوصى أن يُكفّن فيها فكُفّن فيها -رضي الله عنه-.

علي بن عبد الله الحمداني سيف الدولة جمع من نفض الغبار الذي اجتمع عليه في غزواته شيئا وعمله لبنة بمقدار الكف، وأوصى أن يوضع خده عليها في لحده فنفذت وصيته.

وها هو القاسم محمد بن أبي بكر الصديق احد الفقهاء السبعة أوصى وقال: كفنوني في ثيابي التي كنت أتهجد فيها.

تُرى ما حالي وحالك.

ما هو العمل الذي سيكون شاهد إثباتنا عند الله؟ ما هو العمل الذي سيؤنس وحشتنا في القبور؟ ما هي آثارانا الطيبة المباركة؟

عباد الله: هل يستوي قارئ للقرآن طوال حياته وهو يشنف آذان العباد بكلام الله ومات ولا زال الناس يسمعون صوته وهو يترنم بآيات الله والأجور والحسنات تلحقه إلى قبره.

هل يستوي مع مغن عاش حياته مع المعازف والأغاني ومات ولا زالت أغانيه تسلب عقول الشباب.

ولقد قال رسول الله -ﷺ- كما في الصحيح: «**مَنْ سَنَّ في الإِسْلام سُنةً حَسنةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وأَجْرُ منْ عَملَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ ينْقُصَ مِنْ أُجُورهِمْ شَيءٌ، ومَنْ سَنَّ في الإِسْلامِ سُنَّةً سيِّئةً كَانَ عَليه وِزْرها وَوِزرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بعْده مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزارهمْ شَيْءٌ**» [رواه مسلم].

عباد الله :هل يستوي من أرسل مقطعا ايمانيا تربويا نافعاً عبر وسائل التواصل في الجوالات وغيرها فله أجره ما انتقل بين الخلق في حياته وبعد مماته.

هل يستوي مع من أرسل مقطعا فاضحا سيئاً، فعليه وزره ووزر من شاهده إلى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل:٢٥]

أيها المؤمنون :

هناك أعمالٌ يبقى للعبد أجرُها بعد وفاته ورحيله من هذه الدنيا الفانية، ينبغي على كل طالب نجاةٍ أن يحرص عليها، وألا يفوِّتها، وأن يضرب فيها بسهمٍ ونصيبٍ قدرَ جهده واستطاعته.

هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ان شاء الله.

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾. اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

❁ ❁ ❁

ما أثارك بعد الموت؟ -٢

الحمدُ للهِ خَالِقِ كُلِ شَيءٍ، ورازقِ كُلِّ حَيٍّ، أحاط بكل شيء علماً، وكل شيءٍ عنده بأجل مسمى.

أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ..

يَـا مَـن يُرجّـى للشَـدائِد كُلهـا يَـا مَـن اليـهِ المُشْـتَكَى والمَفـزعُ
يَـا مَـن خَـزائِن رِزقـه فِـي قَـول "كُـن امـنُن فَـانَّ الخَيـر عِنـدك أجمـعُ
مَـا لـي سُـوى قَرعـي لِبابـك حِيلـةٌ فَلـئِن طُـردت فـأيُ بَـاب أقـرَعُ

اللَّهم بهذه الأيام المباركة غيِّر حالنا، وحال يمننا وأمتنا إلى أحسن حال.

اللهم احسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الركع السجود، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى اليوم الموعود، وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته، والتزود من الأعمال الصالحة؛ فأنتم في أيامٍ فضيلة مباركة.

﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧]

تـــزود للـــذي بـــد منـــه فـــان المـــوت ميقـــات العبـــاد
أترضـــى أن تكـــون رفيـــق قـــوم لهـــم زاد وأنـــت بغيـــر زاد

ما آثارك بعد الموت هذا هو اللقاء الثاني :

عباد الله:

إن من أعظم الأعمال الصالحة نفعاً، تلك التي يأتيك أجرها وأنت في قبرك وحيداً فريداً، ولذا حريٌ بالمسلم أن يسعى جاهداً لترك أثر قبل رحيله من هذه الدنيا ينتفع به الناس من بعده، وينتفع به هو في قبره وآخرته، وصدق الله القائل: **﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾** [المزمل:٢٠].

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس:١٢]

وكـــن رجـــل عفيـــف الخُطـــا شـــريف الســـماع كـــريم النظـــر
وخـــذ لـــك زاديـــن مـــن ســـيرة ومـــن عمـــل صـــالح يـــدخر
وكـــن رجـــلاً إن أتـــوا بعـــده يقولـــون مـــر وهـــذا الأثـــر

أيها الأحباب:

حثنا القرآن على الحرص على ما يبقى لا على ما يفنى،

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل:٩٦]

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى:١٧]،

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [القصص:٦٠]، ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف:٤٦]

أيها المؤمنون:

هناك أعمالٌ يبقى للعبد أجرُها بعد وفاته ورحيله من هذه الدنيا الفانية، ينبغي على كل طالب نجاةٍ أن يحرص عليها، وألا يفوِّتها، وأن يضرب فيها بسهمٍ ونصيبٍ قدرَ جهده واستطاعته.

ومنها:

أولاً: الدعوة إلى الله وتعليم الناس الخير:

إن مِن أعظم الأعمال أجرًا وثوابًا بعد الموت الدعوةَ إلى طريق ربِّ العالَمين، وإرشاد الحائرين، وهداية الضالِّين، ولأجل هذا قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٣]

، نعم هو أحسن قول وأفضل قول، هو ولي الله حبيب الله استقبل أمر الله فبلغه لخلقه، وقال النبيُّ -ﷺ- لعليٍّ -رضي الله عنه-: «**والله لأَنْ يُهدَى الله بك رجل واحدٌ، خيرٌ لك مِن حُمْر النَّعَم**»؛ [متفق عليه].

فأفضل الآثار الباقية وأفضل النفع للآخرين إخراجهم من ظلمات الكفر والبدع والمعاصي إلى نور التوحيد والسنة والطاعة.

إنها لتجارةٌ رابحة أن تأخذَ أجرًا على ما لم تعمل يدُك، لقد كنت سببًا في هداية غيرك، بكلمة، برسالة، بنصيحة، بموقف فكلُّ ما يعمله مِن خير يُكتَب لك مِن الأجر مثلُ ما يكتب له، فهنيئًا لكم يا دعاة الهُدى والخير .

لقد قصَّر كثيرٌ مِن المسلمين في دعوةِ بعضهم بعضًا إلى الخير، ، وظنَّ بعضهم أن الدعوة إلى الله ونشرَ سُنة النبي -ﷺ- واجبُ الدعاة وطَلَبة العلم، والخطباء فقط، وهذا ليس صحيحا إن تبليغ دعوةِ الإسلام واجبُ المسلمين جميعًا، كلٌّ حسَبَ قدرته، وفي الحديث عن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما-، أن النبي -ﷺ- قال: «**بلِّغوا عني ولو آية**»؛ [أخرجه البخاري].

وقد ذكر الرسول -ﷺ-أموراً سبعةً يجري ثوابها على الإنسان في قبره بعد ما يموت، وذلك فيما رواه البزار في مسنده من حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه - أن النبي- -ﷺ-قال: «**سبعٌ يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من عَلّم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورّث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته** »[حسنه الألباني / في صحيح الجامع برقم: ٣٥٩٦]

وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه - قال قال رسول الله -ﷺ-: « **إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته** »[حسنه الألباني / في صحيح ابن ماجه برقم ١٩٨].

علما علّمه ونشره، اسمع إلى فضل معلم الناس الخير، قال رسول الله -ﷺ-: «**إنَّ اللَّه وملائِكَتَهُ وأَهْلَ السَّمواتِ والأرضِ حتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا وحتى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلى مُعلِّمِي النَّاسِ الخَيْرْ**»[رواهُ الترمذي وقالَ: حَديثٌ حَسنٌ].

فانشُرْ علمًا نافعًا تنعَمْ في قبرك ويَزِدِ اللهُ في أجرك، وانظُرْ كم انتفع خلقٌ لا يحصيهم إلا الله تعالى بكتابٍ مثلِ صحيح البخاري، أو رياض الصالحين مئات السنين ولا زالت الأجور تحول إلى قبورهم.

فيا شباب الإسلام، تعلّموا وعلّموا، فإن هذا والله جهاد عظيم،

وفي هذا الباب المشاركة في طباعة كتب العلم النافعة وكذلك كفالة طلاب العلم والدعاة، ونشر العلم عبر، وسائل التواصل الاجتماعي كل هذا مما يبقى للإنسان بعد موته وهنيئا لك تموت ويظلّ أجر ما قدّمت من التعليم، وما أخرت من العلم، يأتيك إلى يوم القيامة.

أيها المؤمنون: ومما يبقى للإنسان بعد الموت **ثانياً ولدٌ صالح تركه**:

إن الولد الصالح ينفع والده نفعًا عظيمًا بعد موته، وذلك بأمور:

أولها: بدعائه له، والميت أشدُّ ما يكون حاجةً إلى دعاء صالح، بل لقد صحَّ عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله- -ﷺ-: «**إن الله (عز وجل) لَيَرفعُ الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**»؛ [أخرجه أحمد، بسند حسن].

ثانيها: بما يعمله من أعمال صالحة يَهَبُ ثوابها لوالده بعد موته؛ فالولد الصالح يعمل عمرةً عن والده، ويتصدَّق عنه؛ كهذا الابن الصالح الذي جاء إلى النبي (ﷺ)، فقال: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صومُ شهرٍ، أَفَأَقضِيه عنها؟ فقال: «**لو كان على أمِّك دَيْن، أكنت قاضيَه عنها؟**»، قال: نعم، قال: «فدَيْنُ اللهِ أحقُّ أن يُقضَى»؛ [أخرجه مسلم].

ثالثها: أن كل ما يعمَلُه الابن مِن عمل صالح يكون في ميزانِ والده، إذا كان والده مسلمًا، والله أعلم.

فاحرِصْ يا رعاك الله على تربيةِ ولدك وابنتك تربيةً صالحة، نشِّئهما على طاعة الله (ﷻ).

ثالثاً من الآثار مصحفٌ ورَّثه:

فمن اشترى مصحفاً ووضعه في البيت ليقرأ فيه أولاده أو وضعه في المسجد ووقفه لله تعالى، فإنه يأتيه من ثواب ذلك المصحف بعد موته ويلحق بالمصحف كتب العلم الشرعي، فإذا اشترى الرجل كتباً منها ووضعها في بيته ليقرأ فيها أولاده، أو وضعها في المسجد ووقفها لله تعالى، فإنه لا يزال يأتيه من ثواب هذه الكتب إلى يوم القيامة.

رابعاً مما يبقى للعبد بعد موته مسجداً بناه:

إن الله تعالى اتخذ في الأرض بيوتاً لعبادته: ﴿**يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**﴾[النور: ٣٧].

ولقد كان النبي -ﷺ-يرغّب في بناء المساجد فيقول: «**من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة**». [رواه البخاري]

فجودوا – رحمكم الله – على بيوت الله ولا تبخلوا، فما تضعونه في بيوت الله من أموالكم يأتيكم ثوابه بعد موتكم، وتجدون بره وثوابه يوم الدين. ويلحق بالمساجد مدارس القران و ونحوها مما يعود نفعه على المسلمين.

خامساً بيتٌ لابن السبيل بناه:

فمن بنى بيتاً ووقفه على ابن السبيل يأوي إليه وينزل فيه في سفره فإنه يأتيه من ثواب ذلك بعد موته.

ومعنى ذلك أن الإسلام يُرغِّب في بناء بيوت المسافرين – التي تُعرف بالفنادق – تطوعاً، لينزل فيها المسافرون مجاناً، لأن الغالب على المسافرين الحاجة وقلة المال، ولذا كثر في القرآن الكريم الوصية بابن السبيل.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله:

سادسا نهرٌ أجراه:

إنَّ أهمية الماء في الحياة لا تخفى على أحد، فقد جعل الله من الماء كل شيء حي.

والإسلام يُرغِّب في العمل على توفير الماء للمحتاجين، وسقاء العطشى، فمن أجرى نهراً أو عمل سقاية يشرب منها الناس ويستقوا، فإن له الجنة، فمن استطاع منكم أن يُجري نهراً، أو يحفر بئراً، أو يشارك في سقاء المسلمين بأي طريقة فليفعل وله مثل ذلك في الجنة.

سابعا مما يبقى أجره بعد الموت الصدقة: إن من أكثر الأعمال نماءً، وأعظمها أجرًا وثوابًا: الصدقةَ والإنفاق في سبيل الله تعالى، فما أربحَها والله من تجارة، تُقرِضُ الله ريالا واحدًا هو في غنى عنه (ﷻ)، ثم يردُّه إليك آلافًا بل ملايين، قال الله تعالى: ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً** ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ولقد كان في تاريخنا الإسلامي حتى اليومِ أوقافٌ أوقفها رجال صالحون، فماتوا وبقِيَت أوقافهم ينتفع بها المسلمون أزمنة مديدة، فوالله إنَّا لَنَغْبِطُهم على ذلك، ونرجو الله أن يُوفِّقنا لمثل هذا الخير العظيم قبل وفاتنا.

فيا أيها الحبيب: الشرع خوّلك من مالك الثلث ضعه لك صدقة جارية، وقفية طيبة مباركة تنفعك بعد الموت.

يقول أحد القضاة :رجل مات وليس له من الورثة إلا أبناء الأخ، وهذا الرجل تقدر تركته ب(٤٥٠) مليون ريال سعودي، وسيكون نصيب كل واحد منهم(١٥٠)مليون ريال يقول القاضي: فدعوتهم وهم لا يعرفون الأمر، فسألتهم هل تعرفون فلان عمكم؟ قالوا: لا نعرفه انقطعت بنا الأواصر من زمن .

فقال: ولكنه مات وليس له ورثة إلا أنتم. فقالوا :كان نعم العم، وكان رجلا صالحا طيبا. فقال: ميراث كل واحد منكم(١٥٠)مليون ريال سعودي، وبعد استلام المبلغ قال لهم: هاهنا مسجد يُبنى، ومن باب البر بعمكم الذي ترك لكم كل ذلك فلو دفع كل واحد منكم مليون ريال صدقة جارية إلى نيته، فقال الأول: أما أنا فعلي ديون لا أستطيع، وقال الثاني: أما أنا فأريد تزويج أولادي، وقال الثالث: لم يهتم بعمل صالح لنفسه هو أفاهتم به أنا .

أنت ماذا قدمت لنفسك؟ كم تعبت كم اشتغلت كم كسبت ماذا قدمت لنفسك؟

ان لم تكن أنت حريص على نفسك فلن يكون هناك أحد حريص عليك.

أخي ان لم تهتم بنفسك أنت من سيهتم بك ؟

ثامنا ـ غرس الغرس:

عن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما من مسلم يغرِسُ غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سُرِق منه له صدقة، وما أكل السَّبُع منه فهو له صدقة، وما أكلتِ الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة**»؛ [أخرجه مسلم].

والله إنَّا لنغبِطُ رجلًا صالحا من بلاد الحرمين على ما منَّ الله به عليه مِن الخير العظيم في هذا؛ فلقد أوقف مزرعةَ نخيلٍ، فيها مائتا ألف نخلة، يُوزَّع تمرُها على الحُجَّاج والمعتمِرين في الحرمين الشريفين، وعلى الجمعيات الخيرية، فهنيئًا له، وفي ذلك فليتنافَسِ المتنافسون.

تاسعا ـ الموت في الرباط في سبيل الله:

وعن فَضالةَ بنِ عُبَيد -رضي الله عنه- قال: قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**كلُّ ميت يُختَم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه ينمو عملُه إلى يوم القيامة، ويأمن فتنةَ القبر**»؛ [أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، بسند صحيح]. وعند مسلم «**ويجري عليه رزقه**».

أخي الحبيب:

بادر الأيام بالعمل الصالح، وأملأ خزائنها بالفرائض والنوافل قبل أن تبادرك هي بموتٍ أو عجز، وقبل أن تجدها فارغة خاوية تقول: ﴿**يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾[الفجر: ٢٤].

هذا وصلوا -عباد الله- على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب: ٥٦]

معركة الحياة

الحمدُ لله عالم الغيب والشهادة، القادر على تنفيذ ما قدّره وأراده. الحكيم في كل شيء قضاه. أحمده سبحانه حمد عبدٍ عظُم رجاؤه للمغفرة والزيادة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعْظِمْ بها من شهادة. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين السادة. اللهم صلّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه نجوم الهداية والإفادة. وسلم تسليما كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى فإن تقواه أربح تجارة وبضاعة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

عباد الله:

يعيش الإنسان في هذه الحياة في صراع دائم، وفي معركة مستمرة، وفي معاناة، وفي تعب، يقول ربنا ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾[الانشقاق: ٦].

ويقول ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[البلد: ٤] أي: تعب، ونكد، ومعاناة.

وهذا الصراع وهذه المعركة هي الابتلاء الذي يمحص الله به بين المؤمنين والمنافقين، وبين الصادقين والكاذبين، فإما فوز أو خسارة، إما جنة أو نار، فريقٌ في

الجنة، وفريقٌ في السعير. ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[آل عمران: ١٨٥]، هذا هو الفوز، وهذا هو النصر إذا دُعيت باسمك يا عبد الله، ويسمعك أهل الموقف، ويقال لك: ألا إن فلان بن فلان قد سَعُد سعادة لا يشقى بعدها أبداً؛ سيَبْيَضُّ وجهُك؛ وتأخذ كتابك بيمينك؛ وتباهي بهذه الشهادة الربانية وبهذا الكتاب المليء بالحسنات، وتقول لأهل الموقف: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءوا كِتَابِيَهْ*إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ*فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ بدلاً عن عيشة الدنيا التي هي عيشة تعب ومعاناة ومكابدة وبلاء، وعيشة صبر على طاعة الله وعن معصية الله وعلى أقدار الله.

فيقول الله: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ *فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ*قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ*كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[الحاقة: ٢١ -٢٤]، جزاءُ صبركم وجهادكم وصلاتكم وإحسانكم وصفاء قلوبكم وثباتكم.

معركة الإنسان في هذه الحياة تدور مع أربعة أعداء كلهم عليه.

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

فهذه المعارك الضارية والصراعات الطاحنة تدور في عدة جبهات مع النفس والإنسان؛ ولكن أبرز هذه المعارك تدور مع أربعة أعداء، جاء خبرهم في كتاب الله ﷻ، وإلا فالأعداء كثيرون؛ لكنهم يندرجون في النهاية تحت هؤلاء الأعداء الأربعة:

العدو الأول: الشيطان:

أول عدو وأبرز وأشر عدو: الشيطان أعاذنا الله وإياكم منه: أخبرنا الله ﷻ عن عداوته في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾[النساء: ١٢٢] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً﴾[النساء: ٨٧]؟ ! يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾

لماذا؟ ! قال: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦].

ويقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[يس: ٦٠].

ويقول لآدم: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ انتبه! ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[طه: ١١٧].

الشيطان الذي رفض السجود لأبينا آدم كبرا وغرورا وحسدا، وقال: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾[الإسراء: ٦١] ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[الأعراف: ١٢].

فالله ﷻ قال له: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ*وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[ص: ٧٧-٧٨]. .

الشيطان الذي أخرج أبونا آدم من الجنة.

الشيطان راحته وانسه وسعادته يوم نقع في الخطايا والزلات ونعصي رب الأرض والسماوات.

عباد الله:

إنها الذنوب والمعاصي دمار الأفراد والأسر والأمم والشعوب.

رأيت الذنوب تُميت القلوب وقد يُورث الذل إدمانها
و ترك الذنوب حياة القلوب وخيرٌ لنفسك عصيانها

عباد الله:

لن نستطيع دفع شر إبليس لعنه الله، ولن نبطل مكائده، ولن ننجو من غوايته

وفساده إلا بالاعتصام بالله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِراطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[آل عمران: ١٠١].

فالنجاة من الشيطان بالعمل بالكتاب والسنة، ودعوة الناس إلى ذلك. قال الله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[الأعراف: ٢٠٠]. ﴿**وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ**﴾[المؤمنون: ٩٧].

والرسول استب عنده رجلان فاحمرّ وجه أحدهما وانتفخت أوداجه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد؛ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**».

ومما يدفع كيد الشيطان وشره المحافظة على الصلاة جماعة، قال الله تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصلاة إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنْكَرِ**﴾[العنكبوت: ٤٥]. وقال عن إبليس: ﴿**وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنْكَرِ**﴾[النور: ٢١].

العدو الثاني: النفس:

أقسم الله أيمانا عظيمة على فلاح ونجاح من زكى نفسه وعلى خيبة وخسة من دسى نفسه فقال تعالى:

﴿ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا *فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾[الشمس: ١-١٠].

والتزكية معناها التطهير.

قد أفلح وفاز وربح واعتز من زكى نفسه، بم زكاها؟

بالطاعة والقرآن والذكر والإيمان والصلاة على النبي العدنان. وقد خاب وخسر وضاع من دساها بالمعاصي والزلات وإتباع الشهوات ومعصية رب الأرض والسماوات.

وقد ذكر الله ﷻ النفس البشرية في القرآن وبيَّن أن لها ثلاث صفات:

نفسٌ أمَّارة بالسوء، و نفسٌ لوامة، ونفسٌ مطمئنة.

فالنفس الأمّارة بالسوء هي: طبيعة النفس، ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾[يوسف: ٥٣] ليست آمرة، بل أمَّارة، صيغة مبالغة، أي: لا تأمر إلا بالسوء، ولا تحب إلا الشر، تكره القيود، وتحب الدَّعة والتفلُّت والنوم، تريد الاسترخاء والضياع واللعب.

هذه أصل طبيعة النفس، كل نفس بشرية أمارة بالسوء، لكن المؤمن يجاهد نفسه ويزكيها ويربيها فيغير من طبيعتها، ويجعلها أمارة بالخير وتنتقل إلى النفس اللوامة

ما معنى لوامة؟ ! قال العلماء: تدعو إلى الباطل، ثم تلوم عليه، تدعوك إلى الباطل، فإذا فعلتَه جاءت النفس وقالت لك: أين إيمانك؟ ! أين دينك؟ ! أين أنت؟ ! ألست مؤمناً؟ ! ألست متديناً؟ ! تزني؟ ! تسكر؟ ! تكذب؟ ! أين خوف الله؟ ! هذه هي اللوامة، وهذه مرتبة جيدة، أحسن من النفس الأمارة؛ لأنها تلومك قليلاً؛ ولكنها ترتقي بالمجاهدة، وبالتدريب، وبالمعاندة لها، إلى أن ترتقي إلى النفس المطمئنة؛ وهي النفس التي اطمأنت إلى الله، وسكنت إليه، اطمأنت إليه عقيدةً، واطمأنت إليه عبادةً، فاطمأنت إليه، فانتقلت من الجهل إلى العلم، ومن الظلام إلى النور، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الشك إلى اليقين، ومن حياة اللعب والفوضى إلى حياة الجد والانتظام، سكنت نفسك، اطمأنت، هذه النفس إذا اطمأنت يقال لها عند الموت: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي**﴾ فقد أديتِ

واجبكِ، وقمتِ بمسئوليتكِ ﴿**ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ**﴾ إلى فاطرك وخالقك، إلى الذي استجبتي لأمره، وانتهيتي عن نهيه، ﴿**ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً**﴾ في حقيقتها ﴿**مَرْضِيَّةً**﴾ [الفجر: ٢٨] أي: مرضي عنها من قبل خالقها وفاطرها، ﴿**فَادْخُلِي فِي عِبَادِي*وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من هذه النفوس.

لكن متى تكون نفسك مطمئنة؟ ! تحتاج منك إلى جهد وجهاد، تحتاج منك إلى تدريب هذه النفس، ومخالفة لهوى النفس، يقول الله ﷻ: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾[النازعات: ٤٠] نهاها.

النفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطمِ

ولذلك جاء في الحديث عند أحمد و الترمذي: يقول عليه الصلاة والسلام: « **الكيِّس -العاقل صاحب اللب- مَن دان نفسه -أي: أدانها، دائماً هي المدينة أمامه- وعمل لما بعد الموت، والعاجز مَن أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني** ».

هذه هي النفس، وهذه أقسامها، ثلاثة أقسام: نفسٌ أمَّارة بالسوء: وهي نفس الفاجر.

نفسٌ لوَّامة: وهي نفس المسلم الضعيف.

ونفسٌ مطمئنة: وهي نفس المؤمن القوي، الذي نسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجعلنا وإياكم من أهل هذه النفوس.

العدو الثالث: الدنيا:

العدو الثالث، والميدان الثالث من ميادين الصراع: ميدان الدنيا.

إنها الدنيا؛ إذا حلّت أوحلَت، وإذا كست أركست، وإذا جلَت أوجلت، وإذا

أينعَت نعَت، وإذا دنت أودنت.

الدنيا: - هذه الحياة الدنيا بما فيها من مغريات وشبهات وشهوات وملهيات، زينة وفتنة حتما ستتركها ، يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ [التغابن: ١٥]

هذه الدنيا مثلها مثل رجل بخيل بخل على أولاده ونفسه ومرض مرضا خطيرا كأنه مرض الموت فجاءه ابنه الأكبر الذي يعلم أن أبيه من الأغنياء لكنه يخفي ماله ويبخل به. فقال له: أبتاه ستموت قل لي أين وضعت المال، فبعد الإصرار عليه قال الأب : المال في المكان الفلاني فما أن أكمل الأب الكلام إلا وانطلق الابن وغيّر مكان المال.

قدّر الله أن يُشفى الأب من مرضه، ويمرض الولد الأكبر مرض الموت فجاءه أبيه مستغيثا قائلا: ابني أين وضعت المال ستموت قل لي أين وضعت المال، فمات الولد وحُرموا من المال، هذه هي الدنيا.

حذرنا الله ﷻ منها، ومثَّلها العلماء، وقالوا: إن الدنيا كامرأة عجوز شوهاء. مُسِنَّة قد عميت عيناها، وسقطت أسنانها، وانحنى جسمها، وتجعد وجهها، وانحنى ظهرها، وشاب رأسها؛ ولكنها لا زالت تحب التصابي.

فهي عجوز ليس معها سن، ولا معها شعرة سوداء في رأسها، وظهرها مُعْوَج، وحالتها تُشْكَى إلى الله، ومع هذا تعطَّرت، وتخضَّبت -تَحَنَّت- ولبست الذهب، ثم تَحَجَّبت، حتى لا يراها الخُطَّاب، فلو رأوها على حقيقتها فلن يلاحقها أحد، ولا أحد يدرك هذه الدنيا إلا عند نقطة الموت .

ولهذا يقولون عند الموت: ﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ**﴾ يقول: رب أرجعني، لماذا؟ ! قال:

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾ .

ولهذا يقول أصحاب قارون لما خرج في زينته وهم لا يعرفون حقيقة الدنيا: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[القصص: ٧٩]؛ لكن أهل العلم ماذا قالوا؟ ! ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلّا الصَّابِرُونَ﴾ فأهل العلم بالحقيقة، أهل العلم بالدنيا، هؤلاء يعرفون أنها غدارة، خداعة، مكارة، ترضع؛ ولكنها تفطم، تعطي؛ ولكنها تمنع، تحيي؛ لكنها تميت، انظروا إلى عملها بأهلها! تجد الشخص بينما هو في عزته ومَنَعَته وسلطته وشغلته وإذا به يقال له: انزل، تفضل، هذا القبر الآن، وهو في قوته وإذا به يموت بين أولاده، وإذا به يخرج من قصره فيرجع إلى قبره، في نوره فيخرج إلى ظلامه.

والله ﷻ قد أنبأنا عن حقيقة الدنيا على صيغة العلم، يقول ربنا ﷻ في سورة الحديد: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ هذه حقيقة الدنيا، الله يتحدث عنها وهو أعلم بها.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ﴾[الحديد: ٢٠].

هذا هو العدو الثالث؛ الدنيا، فانتبه منها! فلا تخدعك، فتجمع المال من الحرام، وترفع أرصدتك؛ لكن في النار، وتدخل عليك دخولاً من نار، انتبه! لا تأكل إلا طيباً، ولا تكنِز إلا طيباً، ولا تقع بقدمك إلا في طيب، حتى تسلم، أما الحرام فإنه لا يورِّث إلا النار-والعياذ بالله-، يقول عليه الصلاة والسلام: « **كل لحم نَبَتَ من سحت فالنار أولى به** ».

هـي الـدنيا تقـول بمـلء فيهـا حـذار حـذار مـن بطشـي وفتكـي
فـلا يغـرركم منـي ابتسـام فقـولِي مضـحِك والفعـل مبكـي

احذر أن تفتن بها وأن تنقاد لزهرتها، وكن من الذين فطنوا لحالها والتزموا بأوامر خالقها وباريها.

إنّ للـه عبـادًا فُطَنًـا طلقـوا الـدنيا وخـافوا الفتنـا
نظـروا فيهـا فلمّـا علمـوا أنهـا ليسـت لحـيّ وطنًـا
جعلوهـا لجّـة واتخـذوا صـالح الأعمـال فيهـا سُـفُنا

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله:

معاشرَ المسلمين، الدنيا مَهلَكة، والفرح بها مَتلَفَة، والانخداع بها مصيبة، ﴿**فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾.

وليس معنى ترك الدنيا أو معاداة الدنيا أننا لا نعمل فيها! لا.

هذا الفهم ليس فهماً شرعياً، ومعنى عداءك للدنيا، أي: عداءك للدنيا التي تضلك عن الله، أما الدنيا التي تعينك على طاعة الله فهي ليست دنيا إنها دين، وإذا توظفت وقبضت المال من حلال، واستعنت به على طاعة الله، فوظيفتك هذه وظيفة دينية؛ لأنك تخدم بلدك، وتساهم في بناء مجتمعك، وتسد ثغرةً من ثغرات المسلمين، وتؤدي واجباً من واجبات الأمة، وفي نفس الوقت استعنت بهذا المال على طاعة الله؛ أنفقت منه على زوجتك وعلى أبنائك، وأكرمت منه ضيفك، وأعطيت الفقير منه، وقمت بالواجبات، وأخرجت الحقوق والزكوات، هذا المال وهذه الوظيفة تعتبر دِيناً.

إذا كنت تاجراً وصدقت في تجارتك، ولم تكذب، ولم تغش، ولم تخدع، وأوردت للناس أي: لم تحتكر البضائع على الناس، فتجارتك هذه دِيناً.

إذا كنت مزارعاً وجلبت الأرزاق للناس، فزراعتك هذه دِيناً.

نِعْمَ المال الصالح في يد العبد الصالح، يقول عليه الصلاة والسلام لـ عثمان بعد أن جهز جيش العسرة: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**» جهز ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، ولما قَدِمَت على المدينة قافلته وتجارته، وقام التجار يرابحون فيها، وأعطوه في الريال ريالاً، أي: الربح -(١٠٠ ٪)- قال: قد جاءني أكثر، قالوا: نعطيك في الريال ريالين -أي الربح: (٢٠٠ ٪)- قال: جاءني أكثر، فما زالوا به حتى أوصلوها إلى خمسة ريالات، -أي الربح: (٥٠٠ ٪) قال: قد جاءني أكثر، فاجتمعوا وقالوا: مَن ذا الذي أعطاه أكثر، وهو لا يكذب؛ ها نحن تجار المدينة، هل أحدٌ منا

أعطاه أكثر من خمسة؟ قالوا: لا.

فجاءوا إليه، فقالوا: من ذا الذي أعطاك أكثر؟ ! لا يوجد أحد منا أعطاك أكثر! من الذي أعطاك؟ ! قال: أعطاني ربي، الحسنة بعشر أمثالها، هي لله -ثلاثمائة بعير محملة بالطعام بأحلاسها وأقتابها كلها لله- قال عليه الصلاة والسلام: (**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**).

إذاً: هذه الدنيا ما رأيكم فيها؟ ! دنيا أم دين؟ دين.

العدو الرابع: الهوى:

الميدان الرابع والأخير عدو لدود: الهوى أي: المزاج والكيف، كما يقول بعض الناس: أنا على كيفي! أنت على كيفك؟ ! لا.

أنت عبد، هل علمتم بعبد يمشي على كيفه؟ ! أم إنه يمشي على كيف سيده؟ ! ما رأيكم؟ ! العبد المملوك يمشي على كيفه وهواه، أم على كيف سيده؟ ! على كيف سيده.

وأنت ماذا أنت؟ ! عبد، نعم عبد.

عبد لِمَن؟ لمن خلقك، فلا ينبغي أن تكون على هواك، يجب أن تكون على مراد مولاك؛ لأنك إذا سرت على هواك ضللت، وإذا سرت على أمر مولاك هُدِيت، ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ الذي اتخذ إلهه مولاه، ماذا حصل؟ ! قال الله: ﴿**وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾ لما اتخذ إلهه هواه أضله الله على علم ﴿**وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً**﴾ كيف سيرى، القلب مختوم، والسمع مختوم،

والبصر عليه غشاوة، وهذا على علم، يعصي الله على علم، قال الله: ﴿**فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾.

انتبه! أخطر الأشياء عليك الهوى، المزاج، يجب أن يكون هواك ومزاجك موافق للشرع، ولهذا جاء في الحديث: يقول عليه الصلاة والسلام: « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به** » أي: يكون مرادك وهواك ومزاجك موافقاً ومتبعاً لشرع الله ولما جاء به رسول الله -ﷺ-، هذا الإيمان، أما أن يكون هواك ضد الشرع، ومزاجك ضد تكاليف الأمر والنهي، فهذا هوى شيطاني.

ولقد حذرنا الله ﷻ من اتباع الهوى في القرآن العظيم في آيات كثيرة: يقول الله ﷻ عن بلعام بن باعوراء -رجل من بني إسرائيل كان من عباد الله الصالحين، أوتي العلم، لكن ما اتبع مولاه، بل اتبع هواه- فالله ﷻ ضرب به مثلاً كالكلب، يقول الله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على أمتك، أخبرهم بنبأ ذاك ﴿و**اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا**﴾ أي: الدالة علينا، فماذا حصل؟ ! ﴿**فَانْسَلَخَ مِنْهَا**﴾[الأعراف: ١٧٥] ما قال الله: فتَرَكها، لا.

بل ﴿**فَانْسَلَخَ**﴾ والانسلاخ من الشيء أي: تركه إلى الأبد، الآن إذا ذبحت لك شاةً وسلخت جلدها، ما معنى سَلْخِ جلدِها؟ معناه: لن يعود عليها أبداً بأي حال من الأحوال .

قال الله ﷻ: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا**﴾ فماذا حصل؟ ! ﴿**فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ**﴾ لما انسلخ من آيات الله تسلط عليه الشيطان، ما كان يستطيع

الشيطان عليه وهو معتصم بالله؛ لكن لما انسلخ عن آيات الله قال الله: ﴿**فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾ ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ**﴾ وماذا؟ ! ﴿**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**﴾ بئس مثل القوم والعياذ بالله.

احذر -يا أخي- من اتباع الهوى! اجعل هواك دائماً ومزاجك وفق شرع الله، قبل أن تتصرف لا تقل: يا هواي ماذا تريد؟ ! لا.

بل قل: يا ربَّ ماذا تريد؟ ماذا قال الرسول في هذه المسألة؟ ماذا قال الشرع في هذا الأمر؟ فإن قال شيئاً، فقل: ﴿**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**﴾ ولا يسعك أمام أمر الله وأمام أمر رسول الله إلا أن تقول: ﴿**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**﴾ ﴿**وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ هكذا المؤمن، لكن المنافق يقول: سمعنا، ولا يقول: وعصينا، الكافر هو الذي يقول: ﴿**سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**﴾.

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

❁ ❁ ❁

ختاماً...

انتهى الجزء السادس من كتاب **بستان الخطيب** بعون الله وتوفيقه، ونلتقي بإذن الله في الجزء السابع قريباً إذا كان في العمر بقية والله الهادي إلى سواء السبيل.

سيبقى الخط بعدي في الكتاب وتبلى اليد مني في التراب
فيا ليت الذي يقرأ كتابِ دعا لي بالخلاص من الحساب

اللهم أغفر للقارئ والكاتب.

اللهم اجعل هذا العمل صالحاً ولوجهك خالصاً برحمتك يا أرحم الراحمين.

إنك ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه:

أمير محمد محمد المدري

اليمن – المهرة

٢٠٢٠/١٢/١م

Almadari_1@hotmail. com

جوال/ ٧١١٤٢٣٢٣٢٩

٧٧٠٣٤٣٤٧٠

❁ ❁ ❁